سماق خاملة

سمات خاملة
مجموعة قصصية
أحمد سيد
الطبعة الأولي .. يناير ٢٠١٣

الغلاف : إيمان صلاح
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٢٣٢٩
الترقيم الدولي : 978-977-6412-47-7

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

سمات خاملة

مجموعة قصصية

أحمد سيد

الإهداء

إلى أسرتي أمي وأبي .. أختي وأخي .. زوجتي الحبيبة وعالية وإياد ..
إلى أحبائي وأصدقائي ..
إلى زملائي بالعمل ..
إلى كل من عاونني على هذا الكتاب .. إلى كل إنسان أفصح عن سماته الخاملة دون أن يشعر ..
إلى أرواح من فارقونا على عجل ..
إلى روح المفكر مصطفى محمود

الشقة رقم ٤١

الشقة رقم (٤١) هي أهم شقة بالعقار رقم تسعة بالميدان الهادئ بضاحية المعادي , لا لكون من يقطن بها هو وزير أو ضابط كبير بالمخابرات, أو فنان مشهور أو لاعب كرة , بل العجيب في الأمر أن لا أحد يسكن في هذه الشقة , أو يبيت بها ليلا , لكن الحياة تدب بها كل يوم من التاسعة صباحا وحتى الخامسة عصرا , الجميع يعمل في صمت ودقة, هنا لا مجال للخطأ, لا مجال للنسيان , كذلك لا مكان للصوص , الهدوء هو السمة الأساسية بالشقة بجانب سمة أخري هي الأمن , فلا مجال لدخول الغرباء, ولو دخلوا اضطراريا أو لوظيفة ما , فإن كل شيء يصبح تحت السيطرة, كما أنه يكون أخر اليوم بعد أن تكون الأشياء الثمينة بداخل أدراجها بالخزائن , نعم الأشياء الثمينة واللامعة أيضا ...

لذلك فأنت أمام عدة عقبات إذا صادفك حظك العسر وقمت بزيارة لأحد سكان العقار الواقعة به الشقة , فمن الطبيعي أن يستقبلك موظف الأمن بالعقار ويقوم بالتحري عن شخصيتك ومعرفة الساكن الذي تزوره ويصلك به تليفونيا قبل الصعود , أما لو كنت قاصدا الشقة رقم واحد وأربعين , فأنت لن تصعد إليها إلا إذا كنت محصل الكهرباء , وأقصى

أمانيك أن يخرج لك أحد العاملين بالمعمل ليدفع لك ثمن الفاتورة إن لم يحاسبك موظف أمن العقار ويقوم بسدادها .

الشقة مؤمنة بنظام أمان يصعب اختراقه , سواء كان تقنيا أو بشريا, فكل شيئ هنا يسير بدقة متناهية , وكأنك أمام معمل للتحاليل الطبية , حجرات مخصصة , دقة , أمان , تخصص , فأنت بداخل معمل للماس ,

يقوم بتركيب فصوص الماس على أيدي من الفنيين المهرة , وهم يعملون في قاعة كبيرة , هي القاعة الرئيسية , بها مجموعة من المنضدات يطلق عليها (تزجة) وبكل واحدة مجموعة من المعدات بالإضافة الي كشاف ضوئي مكتبي وذلك كله لإتمام عملية التركيب الدقيق للأحجار والفصوص بالحلي الذهبية على اختلاف أنواعها وأشكالها .

الحجرة الثانية هي حجرة بها مجموعة من الخزن الصغيرة بداخل تجويف حائطي , وهي غالبا بنفس عدد التزجات في القاعة الاولى , وهي لحفظ فصوص الماس لكل فني تركيب , يقوم بإغلاقها بنفسه برقم سري خاص لا يعلمه أحد إلا هو , بالإضافة لحجرة أخرى بها عدة مكاتب إدارية وهي خاصة بمساعدي المدير العام للمعمل , أما حجرته فهي أفخم حجرة من حيث الأثاث والأجهزة بالإضافة إلى أحدث خزينة بداخل تجويف حائطي وهي الخزينة الرئيسية , والتي يحفظ بداخلها كافة القطع والفصوص بخلاف المسلمة لفنيي التركيب ..

(لا يصرح بالدخول أكثر من فرد واحد فقط)

هي لافتة معلقة على الباب الخاص بغرفة تجميع الخزائن الخاصة بالفنيين, وهي لافتة مثيرة للدهشة لكل من يقرأها للمرة الأولى

السيد ناصر هو المدير العام للمعمل , وهو صاحب الفضل الأول في تصميم جميع حجرات المعمل ونظام الأمان ولائحة العمل به وإدارة جميع مهامه... وهو صاحب الخمسة والأربعين عاما , أحد هؤلاء الرجال العصاميين , عانى كثيرا حتى يصل إلى هذا المنصب الهام .

عندما بلغ العاشرة ذهب للعمل في سوق الصاغة الواقع بحي الجمالية ,

حيث عمل وزانا للذهب , كان يستخدم الميزان اليدوي القديم بمعاييره الدقيقة , وعلى الرغم من أنه كان لا يحضر الي المدرسة إلا مع بداية العام الدراسي وفي آخره لأداء الإمتحانات إلا إنه أكمل تعليمه الجامعي , فكان يعمل في الصاغة صباحا ويذاكر ليلا , ولقد تفهمت إدارة المدرسة سبب تغيبه , بل أن الجميع تعاطف معه وساعده , حتى أن مديرة المدرسة آن ذاك هي من قامت بالتوسط لدي صاحب محل الصاغة لكي يعطيه يومان إجازة أسبوعيا بدلا من يوم واحد , لذلك فهو لم ينس جميلها عليه , حتى أنه عندما علم بخبر وفاتها حزن كثيرا وترك كل شيء وكان مع أبناءها يتقدم المشيعين لها , فلقد كانت سببا في استكمال دراسته الجامعية حيث درس اللغة الهولندية , والتي كانت سببا أخر في اختيار صاحب المعمل السيد صفوت له كي يسافر الي بلجيكا من أجل الحصول على دورات متخصصة في الماس , أيضا كان يسافر لعقد صفقات استيرادية من الماس من جنوب افريقيا, فلقد طاف العالم أكثر من السيد صفوت نفسه , حتى أنه كثيرا ما يصعب التفرقة بينهما , فسيارته الفارهة , وتفانيه في العمل فهو أخر من يغادر الشقة , وأول من يفتحها صباحا بحكم مسؤوليته المهنية والأمنية , كل ذلك جعل الأمر بالصعوبة التي تجعلك تحدد من صاحب المعمل , فالسيد صفوت مشغول دائما بمعرض المجوهرات الرئيسي وهو غالبا لا يتركه إلا عندما يسافر السيد ناصر لعقد بعض الصفقات

الاستيرادية أو شراء بعض الأجهزة والمعدات ,حينها يتولى السيد صفوت إدارة معمله , حتى أن السيد ناصر كان هو من يتابع سير العمل ويتصل به يوميا أكثر من خمس مرات .

كان الجميع يعلم التصرف المعتاد للسيد ناصر عند عودته من كل رحلة إلا أنهم لم يصلوا إلى مغزي هذا التصرف وكانت للسيد ناصر عادة غريبة , بمجرد هبوط طائرته كان يذهب أولا الي المعمل , حتى لو كان ميعاد هبوطها هو منتصف الليل أو فجرا , ليظل بها حتي الصباح يستقبل الموظفين بذلك الوجه المحير , والذي يصفه الجميع بمزيج من الشرود الخامل , المائل للطمئنينة تارة , وأخرى إلى الحزن , وكان العاملين لا يجدون سوي تفسيرا واحدا , وهو المتمثل في إخلاصه لمهنته , وعودته لمعمله الذي قضي به عمره , إلا أن البعض منهم كان يمزح معلقا ... أن احمرار عينيه بسبب البكاء على فراقه لزوجته البلجيكية الحسناء ...

والتي كثيرا ما حاولت إقناعه بالإقامة معه في مصر , إلا أنه كان يرفض ذلك قائلا لها : بلجيكا أفضل لك من حالة العزلة التي ستشعرين بها في مصر , فأنا مشغول دائما بالمعمل . لكن عندما كان يلحظ حالة الوجوم مسيطرة على وجهها , كان يقول جملة واحدة ... « سيأتي اليوم الذي أعيش فيه من أجلك فقط »

جلس في اليوم الأول لعودته مع العاملين يطلعهم على أحدث الأحجار التي أحضرها معه ومواصفات كل حجر منها من حيث القطعية ودرجة النقاء , ولكنه استرسل وهو يستعيد ذلك الوجه الشارد وينظر في لمعان إحدى الأحجار , ولا أحد يعرف إن كان يحاوره أو يهذي مع نفسه ...

السفر الي بلجيكا هذه المرة لم يكن مملا كما المرات السابقة , فزوجتي أعدت لي مفاجئات عديدة , كان أجملها الخبر الذي ألمحت به عبر التليفون منذ شهرين بعد الزيارة قبل الأخيرة لها , ولكنها لم تقله لي إلا وأنا

واقف أمامها .. إنها حامل ...

ابتسم جميع الموظفين وهنئوه إلا أنه استطرد في كلامه دون أن يرد تهنئتهم له ... سأصبح أبا ... قالها قبل أن يرن هاتف مكتبه ... بدأ العاملون في الانصراف بعدما أشار لهم بذلك إلا أحدهم ...

لم يكن الاتصال مفاجئا , فهو إتصال من السيد صفوت بعد العودة من كل رحلة للإطمئنان على سير العمل , إنتهت المكالمة حيث لم تستغرق سوى دقائق قليلة ..

أغلق الهاتف في هدوء وهو ينظر إلى أحد المساعدين لديه قبل أن يقول له :

- تفضل إسترح يا حسين

- شكرا يا أستاذ ناصر ... في الحقيقة وبدون تنقيح لكلماتي ... لقد عرض على السيد صفوت أن أتولى إدارة المعمل في فترة غيابك , معللا ذلك بأنه غير قادر على ترك معرض المصوغات أثناء سفره بالخارج

- تقبل ناصر هذا الكلام بابتسامة طفيفة لا تنم عما وراءها .. ثم قال .. أنت شاب يا حسين في مقتبل عمرك ومن الكفاءات هنا وأتمني لك كل توفيق

- أشكرك سيدي ... فأنت من أعطيتني هذه الثقة وفي النهاية أنا رهن إشارتك

- دائما أصفك بالذكاء ... طبعا تريد معرفة موعد سفري القادم حتي تجلس على هذا المكتب

- بضحكة خجولة أقرب إلى التصنع .. حيث شعر بأنه اختبار ... لا طبعا سيظل المكتب منيرا بصاحبه

- الغريب أن السيد صفوت لم يخبرني بما قلته ...

- لا أريد أن أسبب بينكما حرجا ولا أود أن يعلم أني أخبرتك
- طبعا لا تخف , يكفيني اخلاصك يا حسين
- العفو ... تسمح لي بالانصراف ؟
- تفضل

لم يصدق السيد ناصر ما سمعه منذ قليل , ودار في خلده ذكريات إنشاء المعمل وتصميمه بحرفية ودقة شديدتين , ظل يتذكر أجهزته ومعداته التي أحضرها من الخارج بالتاريخ وبالفواتير , كل ورقة في المعمل عليها أفكاره وتوقيعاته

ظل شاردا , لم يغادر بعد انصراف العاملين ... وكأنه غير قادر على فراقه , فالأمر يذهب بعيدا من تحت أقدامه شيئا فشيئا , إنها سنوات طويلة أعطي فكره وجسده من أجل إنجاح المعمل , وبعدها يمد يده في مشهد يتكرر يوميا فلا يجد سوي الخذلان , فالقمر في كل ليلة يمد يده إلى الشمس كي لا تتركه وحيدا ليلا ولكنها تخذله .. شعور بالخيبة على سنوات مضت من أجل بناء صرح ليأخذه أخر بدون أي عناء , ثم يذهب هو في طي النسيان .

في الصباح تجمع العاملون على باب المعمل حيث لا يوجد أحد بالداخل ليفتح لهم , الأمر الذي أقلقهم جميعا , فالسيد ناصر لا يرد على هاتفه , مما أضطرهم للإتصال بالسيد صفوت الذي قابل الأمر بالدهشة , وما زاد دهشته هو علمه بأن السيد ناصر غادر المعمل ليلا في وقت متأخر كما أخبر رجال أمن العقار العاملين بالمعمل ...

طمئن السيد صفوت العاملين وأبلغهم بحضوره خلال ساعة ليفتح لهم المعمل بالنسخة الأخري ...

لم يصدق ما رآه بعدما دخل حجرة المدير العام ... الخزينة مفتوحة على مصراعيها .. لا وجود لمئات الفصوص من الماس ...!
لم يتلفظ أي من العاملين بكلمة ولكنهم ظلوا ينظرون للسيد صفوت في ذهول ...
سقط السيد صفوت على احد المقاعد , متذكرا مقولة ناصر له , وهو يصف تركيبة الماس وأنه مثل الجرافيت , فكلاهما مكون من الكربون , فلا اختلاف في تركيبهما الذري , ولكن الاختلاف في الشبكة الكريستالية... فهي في الماس شفافة , أما في الجرافيت فهي قاتمة , يستحيل ادراك ما بداخلها الا بعد أن تبوح , هنا ضحك ضحكة أشبه إلى البكاء , فلقد استطاع معرفته أخيرا بعدما اعتقد لسنوات إنه كالكربون الشفاف , فلقد كانت سمات خاملة طفت على السطح في الوقت المناسب .

خدمة ٢٤ ساعة

كانت ليلة دافئة رغم الأمطار التي اجتاحت القاهرة أمس , الساعة تقترب من الثالثة بعد منتصف الليل , الهدوء يملأ المكان , في تلك اللحظات توقفت سيارة حين شق صوت مكابحها الصفة الأولى من صفات الليل بتلك البقعة الهادئة , لتخرج منها على الفور امرأة يعتصرها مزيج من الإعياء والتوتر , لتبدو في حالة أقرب الي التشنج , كانت تلك الملامح قابعة على وجهها الذي يحتضن ما تبقي من جمال في خوف كما يحتضن المحتضر أحبابه من وحشة الفراق , اتجهت مسرعة لتضغط في توتر يظهر في رعشة يدها على زر جرس مكتوب بأعلاه « صيدلية سليم .. خدمة ٢٤ ساعة «

لم تنتظر كثيرا , ليفتح لها رجل في بداية عقده الثالث , يبدو أن عينه لم تفرغ من غفوتها بعد , ولكنها استيقظت من هول ما سمعت حين قالت :

- أريد حقنة مخدرة
- ولكن هذه الحقنة لا تعطي الا بروشتة من الطبيب .
- ارجوك ساعدني , فأنا أدمن منذ اكثر من سنتين , ولا استطيع العيش بدونها .
- أين أخذتي آخر حقنة ؟
- كان معي ما يكفيني ولكن طالت أجازتي وإنتهت الكمية التي معي
- ما رأيك لو أعطيتك حقنة مهدئة ..؟
- لا أرجوك ... فلن يستمر تأثيرها معي حتي الصباح , إنني أريد ما يكفيني حتي موعد سفري غدا .. أرجوك .. أتوسل إليك أن ساعدني ..
- حاضر سأساعدك .. وأشار لها أن تستريح ..

إتجه سليم إلى معمله الملحق بالصيدلية عبر الممر الضيق بخطوات حائرة وهو ينظر إلى الأرض بعين شاردة , وما إن وصل حتي نظر إلى حلمه الذي بدا يلوح أمامه , شرد قليلا ثم راح يتساءل عن سبب مجيئ تلك المرأة له تحديدا , هل لذلك علاقة بمعمله الصغير الذي سيعلن قريبا إكتشاف عقاره الذي سيمثل قفزة هائلة في اشفاء المدمنين , هنا شعر أن القدر يريد أن يعرض عليه مبادرة ما , وعليه أن يدرسها جيدا , بل ... ينفذها..!
وبالفعل قام بتحضير حقنة من عقاره الجديد , إتجه بها إلى المرأة بخطوات نابضة وهو يفكر فيما ستسفر عنه تلك الحقنة التي سيجربها للمرة الأولى, وهل ستنجح تلك التجربة .. ؟ أم ستسوقه إلى المجهول .. ؟
ترك سليم هذا التفكير الجدلي الذي لا يجيده إلا وهو في معمله بين المعادلات الكيميائية ليمسك بذراع المرأة ويحقنه بذلك الاكتشاف ...
هنا بدأت المرأة تستعيد هدوءها في شجن , حيث كانت مسترخية على الأريكة التي يبيت عليها ليلا , ثم راحت تهذي حين قالت ...
ما اجمل تلك الأحاسيس العالقة بكل كياني الأن , إنني أشعر وكأن جسدي يسبح بفضاء ناعم مقمر , وأن كل ما حولي ينثر روائحه العنبرية ...

ثم أغمضت جفنيها في استسلام ...

بدا على سليم توتر ملحوظ راح يتغلب عليه بالسير حول نفسه ثم توقفت خطواته أمام ممر المعمل ... كان يريد أن يعيد الحالة التفائلية التي كان عليها قبل أن يخلد إلى النوم , إتجه إلى المرأة مرة أخرى التي مازالت فاقدة للوعي , محاولا إيقاظها , ولكنها دون حراك , شعر سليم بالقلق, راح يكرر المحاولة مرة ثانية بوضع يده على قلبها في محاولة احتاجت لكثير من الوقت حتي تصل يده إلى قلبها وكأنه يضعها في نار ... لا نبض , إنتفض جسده وراحت تدور بذهنه تداعيات الصدمة التي لحقت به ... وكان هذا الحوار الداخلي :

- لقد ماتت ... هل ستبلغ الشرطة ..؟

- لا .. لن أفعل , فلو أسلمت نفسي للشرطة سينتهي حلمي إلى الأبد ..

- ولكن كيف النجاة ... ؟ فلقد ضحيت بحياة مستقرة .. زوجة وأولاد من أجل هؤلاء (راح ينظر إلى المرأة) وفي إغماضة عين يسلب القدر هذا الحلم بكل سهولة .. لا لن أسلم نفسي للعدالة

- ولكنك اخطئت ويجب أن تدفع الثمن .

- أخطئت لأني لم أعطها المخدر ..!؟ إنني حاولت أن أساعدها وأقدم لها طوق النجاة من إدمانها .

- أنت تبرر خطئك

- لا .. فهذا الثمن لن ادفعه مما أملك , بل سيشاركني فيه كل من يتعذب من جراء تناول هذه السموم

فأنا لا اعاقب نفسي فقط , بل سأعاقب أبرياء معي لا ذنب لهم .

- ولكن أين المساواه هنا .. ؟ أنت بذلك تظلم كل من اخطأ وأسلم نفسه إلى العدالة .

- لا إنها عين المساواة , فدوافعي ومبرراتي أكبر بكثير من اي أحد.

- لكنها مساواة .. مساواة مجردة , لا تشوبها ظروفا خاصة , اليس حقا للعدل أن يأخذ مجراه , يجب أن يجني الجميع عاقبة تصرفاته وإرادته المطلقة , أراد ام أبى .

- إذا أين الرحمة ... ليست رحمة بي , ولكنها رحمة بكل هؤلاء المرضي , بمن يخطون خطوات الموت , يجب أن أمنح فرصة أخري لاكتشاف الخطأ في العقار , وهو ما لا يتحقق لوأسلمت نفسي للشرطة .

- ألم ترى هنا إنك قد نسيت بذلك العدل .. العدل الذي ينبثق من الرحمة , وإلا ما كان هناك قصاص عدل للظالم والمظلوم على السواء , فالظالم إن لم تتم معاقبته سيزداد ظلما وعذابا لنفسه وللآخرين , والمظلوم إن لم يقتص له , فسيصبح ظالما أيضا هو الآخر .

- نعم .. معك حق .. ولكن .. خرجت منه تلك الكلمة في يأس من يصارعه الموت .. ثم صمتت كلمته , إتجه الي الهاتف الذي يحتاج الوصول إليه القيام بحركة دائرية حتى يتخطي تلك المرأة ... لكنه توقف فجأة ... توقف حين سمع صوتا خلفه , وصرخ لم تمت .

عرض أزياء

رغم كل مشاعر الرجولة التي كان يستدعيها أثناء تصميم أزياءه , الا أنها لا تخلو عن كونها افتراضية فقط , فلقد كان لا يقدر على الإستمتاع بالنساء , وهذا ما جعله يبرع في تصميم الفساتين الساخنة لهن , كمحاولة لمحاكاة شعور ميت , لا يخرج عن كونه مجرد ذكرى تقبع في أعمق مكان بالذاكرة تفشل معها كل محولات الانتشال أو الافاقة , ذكرى لن تعود إلا بتلك المحاكاة عندما يترقب أعين الرجال وهي تتبع تلك الأماكن المثيرة بأجساد عارضاته وهن يرتدين تصميماته , هنا كان يشعر بتلك الحالة التي تتطلب من مراكز إحساسه الاستجابة لمؤثره العقلي .. محاولة للإفاقة ولكنها تفاجأ بخيوط اللاوعي تشدها مرة أخرى نحو الثمالة , محاولة تتكرر مرارا , من أجل الصحوة , هنا فقط كان يشعر بأقرب ذكرى ... فكان ينسى آلامه من أجل تلك اللحظة .. تلك النشوة الزائفة , وكأنه قد استمتع بالنساء كما لم يستمتع بهن أحد في العالم .

فهو يستعد لموسم الصيف بأحدث التصميمات التي دائما ما تبهر العالم, يريد أن يغزو السوق بأحدث تصميمات ملابس النساء .. بل بأكثرها إثارة, يتمني أن ترتدي تصميماته هذا الموسم مليون إمرأة ... بل مليونان .. ولماذا لا يكون أكثر ... إنه يريد أن يستمتع الجميع بجسد المرأة , فهو كرجل يعلم جيدا أين تقع أماكن الإثارة في جسد المرأة .. يعرف كيف يبرزها , كيف يقدمها للرجال , كيف يثير غرائزهم , وكيف يجعل المرأة تنقاد لتصميماته وتعشقها فقط وهي على جسدها , هنا يشعر بأنه قد سيطر عليها , امتلك جسدها كله , بل سلب روحها وقلبها , وجعلها تنتظر عرض أزياءه وهي ملتهبة شوقا من أجل ارتداء ملابسه التي تشعر الآخرين بأنوثتها كما تتمني .

لم يتبق سوي ساعات قلائل على ميعاد الاحتفالية التي ينتظرها من الموسم الي الموسم ...غدا ستنخلع أعين الرجال من أماكنها وهي تشاهد تصميماته على أجساد عارضاته التي إختارهن بعناية فائقة , واللاتي ليس منهن إلا من تستحق شرف إرتداء تلك التصميمات الرائعة , فهو لا يدع فرصة لتلك الأمور أن تتسرب من قبضته , فهي لا تقل أهمية عن أزياءه , فكلاهما نتاج فكر إستمر لموسم كامل , عصارة أحاسيس كان يبحث عنها كثيرا , وأخيرا سيجدها في أعين الرجال وهو يتتبعها ليشعر بنشوته , فمن أجله أجتثت أعين الرجال من تجويفها , فلقد رسم خريطة جديدة لأجساد النساء , فهو بارع في تصميم السواريهات , دقيق في تصميم فساتين الزفاف يجعل كل رجل يشاهد تصميماته يتمني لو أن يتزوج بمن ترتديها , ليجعل ما يبدو منها فقط هو النشوة والإبهار والحلم والتمني ...

وفي غمرة ونشوة ما كان يشعر به وهو ينتظر الغد , وما ستفعله تصميماته, فاجأه النوم , وفي نومه سمع صوتا يقول له ..

- توقف .. فإلى متى ستظل تلعب بغرائز البشر ... ماذا ستجني إلا الدمار

- هذا ليس دمارا .. إنه تقدم .. إنسانية .. شعور بالآخر

- لماذا لم تشعر بالآخر الذي جمده صقيع الشتاء , وهو لا يجد ما يكسو به جسده ... كيف يكون التعري شعورا بالآخر ... أجبني ؟

- لست مؤسسة إجتماعية أو معونة الشتاء .. أنا فنان .. مصمم بارع للأزياء .. مبتكر , أخفف من عناء الكثيرين بمشهد يعيد لهم حيويتهم .. مشهد يجري الدماء بعروقهم المجمدة

-ولأنك لست معونة للشتاء ترضى أن تكون معونة للصيف.. معونة للجمر.!

- ماذا تقصد ...؟

- لا أقصد شئ .. سوي أنك تمتلك فتيات مبهرات ... من أين حصلت عليهن ..؟

- أرأيت ...؟ هذه هي رسالتي التي لم تفهمها , لماذا نخفي صنيعة الله وجماله في الأرض ؟ أليس الله هو من خلق المرأة ؟ فالخالق لا يخلق أشياء ثم يخجل منها ويخفيها عن أعين أقرانها فإذا أردت أن تساءل أحدا, فسأل الله , فجميع تصرفاتنا هي نتاج تبعية لما يقوم به الخالق

- إذا فلقد وصلنا سويا إلى نقطة تلاقٍ ... فكلانا نحب المرأة ونتمناها , ولكن حدد الله لنا
كيف يكون ذلك ... وليست كما تريدها , جسد خاوٍ بدون عقل ولا شيئ دونه , ثم تملها لتبحث عن أخرى وكأنها ساعة ترتديها لتماشيها مع ما ترتدي

- أمِلها , وأبحث عن غيرها .. أنت لا تفهم شئ .. إذهب لا أريد أن أراك .. اذهب .. اذهب

- أعلم ما بك , ولكنها إرادة الله , وأنت تعلم أنك كنت يوما من الأيام إنسانا معافا

- إذا لماذا اختارني إلهك دون غيري , لماذا لم يتركني و شأني ..؟

- أنت تعلم لماذا اختارك الله

- ولكن هذا ليس عدلا ... فمنظور العدالة الذي تتكلم عنه هو عدل انتقائي غير مدروس

- أنت تري أن العدل الانتقائي ليس به مساواة , ولكنك لو فكرت قليلا فستعلم أن تحقيق عدل الله على جميع الخلق لذنب واحد اقترفوه لخلت الحياه البشرية , ولكن انتقاء الله في ابتلاء البعض من جراء صنيعة

أيديهم واستبعاد البعض الأخر ليس ظلما لمن اصابهم الله , ولكنه انتقاء نوعي , فقد يصيبك الله بشيء ويكون حليما في أشياء عديدة , ويصيب آخر جراء ذنب آخر , فعلته أنت أيضا وتجاوزك الله في العقاب عليه

- ياليته تجاوزني وتركني وشأني ... أعيش حياتي على الطريقة التي أريدها , فأنت لا تعلم ماذا ألم بي بعد هذا الحادث

- الله لا يترك أحدا ... حتى وإن ظن انه لم يشمله بقدره , فهذا ظن العبد , ولكن الخالق لا ينس أحدا

- لا ... لقد حدث

- لم يحدث , فلقد أرسل الله إليك أكثر من رسالة تجاهلتها , بل كنت تستهزئ بها في تصميماتك بكتابة إسم الله على تصميماتك العارية

- يضحك بسخرية ويتساءل في عدم مبالاه ... ألم تعرف ما الجديد..؟

- أعلم وهي رسالة أخيرة لعلك تتفهمها

- ما رأيك في أن نكمل حوارنا بعد عرض الغد , بعد أن تشاهده أنت وإلهك ؟

- هل تريد التفاوض من مركز قوة ..؟

- بدأت تفهمني ... فأنا أريد عودة حياتي كما كانت

- الله لا يعطي ولا يكرم نتيجة لسبل الضغط التي تفهمونها أنتم بني البشر

- لا اظن ذلك ... فنجمي بزغ بعدما تحداني إلهك رغما عنه , ورغم ما أصابني به ... أتدري كيف تتحدث عني بيوت الأزياء العالمية .. افتح التلفاز إذا كنت لا تستطيع القراءة , وشاهد صوري , واسمع ماذا تقول محطات الموضة عني , بل العالم بأسره , ماذا يقولون عن عرض الغد , وعن أزيائي التي أبهرت العالم وما زالت تبهره , افتح .. افتح ..

لماذا لا تجبني ؟
ويبدو أن الحوار قد انتهي , فلم يجبه سوي رنين الهاتف الذي أيقظه من غفلته , فلقد كانت الفتاة التي سترافقه الاحتفالية ..
ليلة العرض , محطات التلفاز تستعد لنقل هذا الحدث , وهي تتحدث عن تصميمات هذا الموسم .. ما هي ؟ وبماذا سيبهر المصمم العبقري العالم من أزياء يسيل لها لعاب الرجال , وتجعل النساء تعشق أنوثتها , لم يتبق سوى ساعات قليلات , ولكن ما هذا ؟ لقد طالعتنا الأخبار بخبر شئم .. لقد ضاع الحفل وضاعت ليلة ينتظرها الكثيرون فصاحب الحفل , عريس الليلة يرقد بين الحياة والموت بداخل العناية المركزة في غيبوبة تامة إثر حادث اليم ...
هكذا تطالعنا محطات التلفاز , تعطلت سيارته الفارهة وهو على الطريق السريع , نزل ليستكشف الأمر, باغتته سيارة مسرعة شوهت وجهه وأصابته بالعمي , كما لم يجد الأطباء حلا سوي بتر ساقيه , هكذا حكت رفيقته التي كانت بالسيارة ...

وبعد أيام ظهرت له أول صورة بالمجلات , ولكن هذه المرة ليست كما تمني , بل كان شبه إنسان , على سرير حجرة العناية المركزة بالمستشفي , لا يدري أحد هل سيعيش أم سيموت .

إحتمالات مبهمة

لم يكن يعرف كيف يتصرف , هل يواجه أم يصمت ويسكن , تدور بخاطره أشياء كثيرة , تجعله يشعر وكأن عقله يتأرجح بداخل رأسه كقارب أوشك على الانهيار ... المواجهة تعني قطع الشك باليقين ... إنهاء الأمر , لكنها قد تؤدي الي تدمير آخر بؤرة ضوء تطل عليه , والتجاهل لن ينهي هذا الضجيج بداخل رأسه , سيظل ينهار كل يوم ألف قارب وقارب , وبلا شك ستتوه الحقيقة , تتوه إلى أعماق سحيقة لن يستطع بلوغها إلا إذا أتته واعترفت له بكل شيء ... نعم لو اعترفت بكل شيء , أن تأتيه طواعية بدون أن يلمح لها عن ما يدور بخاطره , لكن كيف لها أن تعترف بكل شيء دون أن يسألها أو يواجهها ؟

سأل نفسه هذا السؤال الذي أخذه بعيدا نحو تذكر تلك الليال عندما كانت تشاركه خواطره وكأنها تطل على ما بداخل رأسه من فوق الشرفة التي تعلوه , رؤية المسقط الرأسي , رؤية تختلف عن كل الرؤي الأفقية الأخرى , التي لا تكشف جديدا , والتي يستطيع الأخرون أن يخفون ما يريدون إخفاءه عن نطاقها ...

ظل لشهور ينتظر أن تأتيه وتبوح له بكل شيء , وكأنه إستراح لهذا الحل الوسطي بين المواجهة والتجاهل , حل مؤقت يتيح له أن يرتكن لأحد الخيارين الذين يقعان على الجانبين ... أحدهما لن يكلفه أكثر من خطوة واحدة , ولكن الآخر قد يمثل النهاية التي ظل يهرب منها , فأحيانا كثيرة تكون الحلول الوسطية هي أفضل الحلول , لأن اختيار أحدهما بعشوائية قد يدمر حياة ...!

كانت نائمة ذات ليلة ظل ينظر إليها , يراوده عقله بالمواجهة , مر كثير من الوقت لم يعرف هل غلبه النوم أم هي التي استيقظت ..؟ ! ووجد نفسه أمامها يواجهها , نسي كل شيء .. نسي عواقب المواجهة التي قد تدمر كل شيء , وجد نفسه لا يستطيع جمح انطلاقته , جمحها قد يُحدث صمت أبد العمر , ولا يقدر على النطق مرة أخرى ...

هو :أراكِ تنامين كثيرا الأيام الماضية .. هل هو إرهاق أم هروب ؟
هي :جحظت عيناها وهي تقول باستنكار ... هروب .. أي هروب ؟
هو : هنا خاف أن يكون قد تسرع , ولكنه فضل القدوم في قراره ... وقال : ألا يوجد أمر تريدين أخباري به , وأعدك سأتقبل ما قمتي به وسأسامحك
هي : أنت تمزح ... أليس كذلك ؟
هو : أنا لا أمزح , وصدقيني اعترافك سيخفف الأمر بدلا من تعقيده
هي : تريدني أن أعترف بماذا ؟
هو : بما قمتي به أثناء غيابي , سنوات وأنا أضمد جرح تسببتِ فيه بدون أي إحساس , , لا أعلم ما سبب تغيرك , لقد نسيتِ حينما كنا نحيا

سويا بداخل قفص صدري واحد , كان كل منا لا يري الآخر ورغم ذلك كنت سرك وكنتِ سري على الرغم من عدم رؤية بعضنا البعض , حينذاك كان اليقين هو ما يربطنا
هي : أنا لم أنس , وما زلت على عهدك , أفنيت حياتي كلها على راحتك, في سبيلك , لم أعرف راحة , ظللت عبدة لك , ضحيت بشبابي من أجل سعادتك ... لا أعرف سببا لتلك الشكوك ؟

هو : كلامك هو دليل إدانتك ... نفس الكلام الذي تقولينه لي . سبق وأن قلتيه له , أنا لا أعرف مع من تصدقين , ومع من تكذبين , أم أنك تخدعيننا سويا وفي آن واحد .

هي : تطلق ضحكة طويلة ناعمة مغلفة بغلاف من الثقة .. أنا أعشقكما أنتما الإثنين , فكلاكما يمتاز بما لا يمتاز به الآخر

هو : تقولينها هكذا بمنتهي اللامبالاة , أنتِ لا تعين ما تقولين , إنه يوقعك تحت طائلة القانون , وقبل القانون هناك عهد بيننا هناك صلة لا يقوي أحد على قطعها ... أنتِ إما مجنونة وإما أنك تتأكدين إنني لن أَمَسك حتى لا ألحق الضرر بي شخصيا , ولكنه ليس بخطأك , فأنا الذي وضعت نفسي في هذا الحال

هي :أنا كل الإحتمالات التي ظننتها بي , الي جانب أنني أحبك , وسأظل أحبك , حتى وإن أوقعت بي متلبسة وأنا أسامره , أتعلم منه , فإن كان هو منارتي , فأنت الذي تضخ الحياة تحت أقدامي , لا أستطيع الحياة بدونكما

هو : أتجمعين بيني وبينه , هذه خيانة مكتملة الأركان , وقبل الخيانة هي جرأة ساقطة , لا تخشى أحدا

هي : وهل علينا أن نفقد حريتنا من أجل خشية الآخرين ..؟

هو : بكل تأكيد ... فحريتنا لها محددات , لو تخطيناها لطالت من

هم بجوارنا , ولكن دعك من نبرتك الغريبة هذه , فأنا لست سماء قاتمة تضرب كل من يعلو ويقترب منها ... حريتنا معا تكاملية , كم انا حزين لتوصيفك لي بكل هذه الكلمات القاسية , فلم أكن أستحق منك كل هذا

هي : ولا أنا أيضا أستحق منك كل هذه الإتهامات .. دعك من الشك وأنظر إلىّ نظرة أخرى , نظرة تكاملية , ليست نظرة الغرماء أو الأنداد

هو : ولكن علاقتنا قامت على غير ذلك ؟
هي : أنت من اعتقدت هذا وقمت ببناء قواعدك الخاصة .
هو : إذا دعيني أفكر
هي : لك ما شئت , وأنتظر قرارك بلهفة وخوف ...

لم يستمر الأمر طويلا , ففي تلك اللحظات , شعر بطمئنينة لم يذقها منذ بداية علاقتهما , قام من نومته ليجد نفسه إنه الوحيد الذي كان بالغرفة , لملم جسده في عناية لم يعهدها وكأنه أشلاء نابضة تحتاج الي الوصل كي تحيا , صار في ثقة وكأنه موقن من قيام علاقة جديدة تمناها منذ زمن , وأخيرا أصبحت الفرصة مواتية

ثورجي

قام من نومته في بطئ وهو يجمع أشلاءه إثر الصوت الذي ضرب ضلفة البالكونة المتهالكة .. فتحها وإلتقط الجريدة , أشعل البوتاجاز قبل أن يذهب إلى الحمام , وبمجرد خروجه قام بإعداد كوب الشاي وحمله حتى تلك الترابيزة المتمايعة , ذهب إلى الثلاجة ليبحث عن أي شئ يبيت بها من الأمس حتى يلتهمه مع كوب الشاي ...

بدأ يطالع الجريدة وهو يشعل سيجارته اللولبية التي تهدلت بسبب تلك العادة الملتصقة به منذ الصغر ... عندما كان يدسها في جوربه , ليخفيها عن باقي الشلة ...

وقع نظره على الخبر الخاص بالتظاهر أمام سفارة سوريا تنديدا بما يفعله بشار في شعبه من جرائم , انتفض انتفاضة كادت أن تقضي على المقعد, خرج إلى البالكونة يبحث عن (طيارة)الذي يكابد يوميا الكثير حتى يحضر الجريدة لمثقف إسطبل عنتر , فجميعهم ينادونه بهذا الاسم حتى ما كاد أحدا يتذكر اسمه الحقيقي ...

وقع عينه على طيارة , ناداه بتلك الصافرة المتفق عليها , وعندما رفع طياره رأسه قال له :

- بكرة في وقفة إحتجاجية أدام سفارة سوريا , حنروح سوا ... هات باقي الشلة .. إنت عارف طبعا حتعمل إيه من هنا لبكرة ؟

- يرد طيارة بكل ثقة طبعا طبعا يا ثقافة , ثم يجري يتخطى الأحجار والعشش في رشاقة حتى انزوى بينهم

مثقف ... هو اسم الشهرة الخاص به , والذي اكتسبه من خلال بعض القراءات التي لا تتعدى قراءة العناوين الرئيسية للصحف ... بدأ حياته بالعمل في شركة التبغ , عندما كان نصيب كل عامل قاروصة من السجائر شهريا , وقتها استطاع أن يقنع إمام مسجد الشركة الحاج عبد القوي

بالسماح له بإلقاء خطبة عقب صلاة الظهر ...!
حرم عليهم فيها التصرف في تلك السجائر لغير المدخنين , والتي كان بعضهم يقوم بتوزيعها على اقاربه من المدخنين , محذرا من هذا الأمر الذي سينقلب عليهم بالأمراض واللعنة , وعدم المباركة في العيال والرزق , لأنهم يضرون بها من يتناولها , فكان يأخذ القاروصات منهم بغية أن يبيعها لهم بمعرفته ثم يضع ثمنها في المسجد , ليعود عليهم الثواب العظيم...!

بعد ذلك اتجه إلى العمل كسائق لفترة عند إلهامي بيه رئيس تحرير إحدى الصحف الكبيرة , وقت أن كان يحصل على جميع إصداراتها بالنسخة المختومة بخاتم - غير مخصصة للبيع - الأمر الذي ساعده على ادراك بعض الأحداث السياسية العامة , نظرا لسماع تلك المناقشات السياسية الحادة التي كانت تدور عبر الهاتف بين إلهامي بيه وبعض الصحفيين .

على الرغم من أن أذنه في بداية الأمر لم تكن تألف تلك المصطلحات والعبارات السياسية والتي تنطلق من حنجرة إلهامي بيه خلال مناقشاته عبر هاتفه , حيث كان يفضل سماع الأغاني الشعبية عبر كاسيت السيارة , إلا أنه منع من ذلك بأمر من رئيس التحرير , ومع مرور الوقت لم يجد سواها خاصة إنه استمر في تلك الوظيفة أكثر من ثلاث سنوات , فكان أشبه بالذئب الذي تربي في حظيرة القطط فأصبح يطارد الفئران ...!

فالجريدة وإلهامي بيه هما سبب ما توصل إليه بين شلته في إسطبل عنتر... تلك المنطقة العشوائية العالقة فوق الصخور ...
ولقد ذاع سيطه بسبب أحاديثه السياسية التي كان يجريها على قهوة

المعلم حفني كل ليلة , فيجمع حوله شلة الأنس الخاصة به من أصحاب الحرف المختلفة , ليبهرهم بمصطلحاته السياسية وفواصل الكلمات التي كان يستخدمها من نوعية حيثما , وإذ لربما , وبيد أن ... والتي لا يعرف لها معنى , ولكنه كان يسمعها من إلهامي بيه بعد أن يدخل عليها بعض التعديلات الخاصة التي تجعل الأمر أكثر ابهارا لكل من يستمع إليه في سهرة المعلم حفني .

المعلم حنفي كان يعتبره أهم زبون على القهوة , فهو الذي ينعش إيراده اليومي , فلقد كانت الطلبات تزداد بمجرد أن يبدأ محمود خطبته , وكان العائد الذي يجنيه هو أن جميع مشروباته كانت على حساب المعلم نظير ما يقدمه له , كما أن الأمر كان لا يخلو من باكو شاي وكيس سكر كل أسبوع يخرج بهما وهو يحملهما تحت ابطه بنظرات ثعلبية كالتي ترتسم على وجه حرامي عشش الفراخ , فقراءة الصحف على رواقة بالبيت كانت

تحتاج لهذا الكوب من الشاي لكي يفصفص الأخبار ويجهز حوار الليلة المقبلة ...

يعود مثقف إلى حجرته بعد إنصراف طيارة , حيث أنه في إجازة قام بالتقدم بها حتى يتفرغ لقراءاته و اهتماماته الأخري ولحين تعيين رئيس مجلس ادارة جديد للجريدة ...

يشغل جهاز الكمبيوتر , وهو يتوسل سلك الكهرباء المتآكل حتي يثبت التيار بداخله , وبعده يظل أمام صفحة البحث الشهيرة جوجل حتى تطل

نوافذها عليه بعد كبد وعناء شديدين تجعله يقوم خلالها بإعداد كوب الشاي الثاني له في هذا اليوم ... ومازالت وصلة شبكة الانترنت يستخدمها أكثر من ثلاثين شخصا بتلك السرعة المتدنية , والتي لتفتح محركا للبحث تظل أمامها حتى تنسي ما كنت ستكتبه .

بدأت يده تكتب في بطئ « عنوان سفارة سوريا « ...

في الغد يتجه نحو السفارة قبل ميعاد التظاهر الرسمي بساعة تقريبا ومعه باقي المجموعة المجيشة بسلاحها الذي نال كثيرا من وقتهم حتي يصبح جاهزا , يتقدم المسيرة التي تقترب من السفارة , وبدأ يلحظ ان البعض الاخر متجها ايضا الي هناك , وحتي لا يشعر من يتبعه بالقلق, بدأت عينه تنظر إلى الأشخاص الأخرين المتجهين الى السفارة , تتبعهم قدماه بتؤدة حتى وجد نفسه أمام السفارة أخيرا , فلقد رأى اللافتة وهي تشير إلى سفارة سوريا

انتشروا في محيط السفارة كانوا يحملون الكثير من أعلام سوريا , وبدأ الهتاف ... العلم بعشرة جنيه .

شمعة لا تنطفئ

بوادر أزمة تطل في الافق , عيناها تأتيني بنظرات نارية , حينما كنت أقرأ جريدتي , صراخ الولد لا ينقطع , حين سألتني

- ألا تتذكر شيئا اليوم .. ؟
- عن ماذا ..؟ هل توجد اليوم مبارة هامة في كرة قدم ؟
- أنت لا تتذكر إلا الكرة ..
- جاوبتها وانا ألعق لعابي في حنق ... بالطبع بلا ... أتذكر عيد زواجنا , وأتذكر كيف تعرفنا على بعضنا البعض , أتذكر اليوم الذي نسيتِ صينية السمك بالفرن حتي تفحمت ... في الحقيقة أنا اتذكر اشياء كثيرة
- طبعا فأنت تتذكر ما يحلو لك من الذكريات وفي الوقت الذي تشاءه , أما عندما تأتي أخرى تكون خارج نطاق الذاكرة
- أنت تظلمينني دائما ...
- فعلا ... ودليل ذلك أنك نسيت عيد ميلاد ابنك الذي انتظرته لسنوات
- يااااه .. نعم إنه فعلا .. كيف أنساه ؟ كيف أنسى هذا اليوم العصيب عليها
- يوم عصيب عليها ..! على من ..؟ أنا لا أفهم شيئا
- لا داعي للفهم ... ما المطلوب مني الآن ؟
- أن تشتري احتياجات الحفل , هل ترضى ألا يجدون شئ
- من هم ..؟؟
- أمي و اخوتي طبعا
- يا لها من ليلة
- ماذا تقول ... ؟؟
- لا .. لا شئ

- الوقت يمر وأنت مازلت تقف أمامي
- حاضر .. سأذهب ..

خرجت من منزلي وذكرى ذلك اليوم عالقة بذهني , ففي ذلك اليوم من العام الماضي جاء الي الحياه إنسان ورحل آخر, قدوم سعيد , ورحيل حزين , مع أولى صرخات ابني الذي انتظرته طويلا , تلقيت تليفونا منها تبلغني مع بكاء صوتها أن شريكها في الحياة قد فارقها إلى الأبد

في تلك اللحظات خرج الدكتور ليبشرني بقدوم ابني الي الحياة , وامتزجت الدموع بعيني فلم أكن قادرا على التفرقة بين دموع الحزن لوفاة زوجها وبين دموع الفرح لقدوم ابني لدرجة أن الطبيب أخذني بالحضن وهو يربت على كتفي ...

كلاهما يعيد التجربة للمرة الثانية بعد فشل تجربتيهما الاولى في الزواج لعدم القدرة على الإنجاب , كان ضعف أشبه بلحظة بكاء طفل يخرج من رحم أمه ليستقبل الحياة , ظل لعقود حتى العام الماضي , عندما فارقها وتركها وحيدة .

ظلت عيني ترقب الأماكن حين وقعت عيني على مشتل للزهور , وكما كانت تحب أن يهديها إياها زوجها , توجهت إلى منزلها وما إن طرقت الباب حتى وجدتها أمامي كما هي دائما ...

ذلك الوجه الأبيض الضياء الذي تسكنه حسنة فوق شفتيها التي أمست وردية بعدما إعتلاها الجفاف مع رسمة خديها اللتين تجعلانها مبتسمة دائما , وشعيراتها البيضاء التي تتدلي من جانب الايشارب كأنه فل تذكيك

رائحته , أعطيتها باقة الزهور , ولمحت في عينيها حزن ممتزج بماء البحر, وكأنها تقف أمامي كما اللوحة التي رسمتها لهما منذ سنوات الصبا ... كانت صورة عملاقة وهما يقفان وسط البحر , الزوجه تمسك بقارب وبداخله أطفال تتساقط من أجسادهم قطرات الماء والزوج ينحني وينقذ باقي الأطفال من الغرق ويضعهم بداخل القارب , وفي الخلفية نجد الشمس وقد أشرقت لتستقبل يوم جديد , كان هذا أبلغ تعبير عن عطائهما معي وأطفال الملجأ ...

جلست في الصالون ووجدت بجوارها صندوقها الفضي الذي تحفظ بداخله ذكرياتها مع شريك حياتها , وكأنها نسيم يبحث عن أرض لفحتها اشعة الشمس الجارفة , إستأذنتها أن أشاركها تلك الذكريات .. تناولت الصور الفوتغرافية , ظللت أشاهدها , حتى وقفت أمام الصورة التي جمعتني بهما , غلغلت عيني بالدمع , أحست بما يجوب به صدري , وقالت لي

- تعرف يا ابني ... كلما غمرني الحنين أفتح هذا الصندوق , وأخرج ما به من صور وذكريات لأظل أتلمسها بعيني

- لا أخفي عليكِ ما كنت أشعر به عندما كنتما تلاطفاني , فلا يخلو وداعكما من تلك القبلة الحانية التي كانت تزيل شعوري باليتم داخل الملجأ , كنت ارقبكما من خلال نافذة حجرتي المطلة على حديقة المنزل ,

فكنت استيقظ مبكرا خصيصا كي أشاهدكما وأنتما تقرءان الجريدة سويا أو تتكئان على بعضكما البعض

- أنت ابننا الذي عوضنا الله بك , وها أنت تتذكر هذا اليوم وتأتي لتشاركني ذكرياتي ... لقد أنسيتني أن أطمئن على عمرو

- بخير الحمد لله , كنت أتمني أن يكون قد كبر لكي أحضره معي..

- إنني متشوقة لرؤيته

- سأحضره قريبا مع والدته , فأنا لا أعرف فن التعامل مع هذا السن بمفردي

- ما أخبار عملك , وأخبار لوحاتك ..؟

- الحمد لله كل شيئ بخير , لكن الزواج والمسؤولية أخذا الكثير من وقتي , فما عدت أهتم بالرسم كما كنت ذي قبل

- على العكس تماما , ولكنك لم تعِ الدرس جيدا .. راجع علاقتي مع زوجي رحمه الله , فأنت تعلم أنه كان سباح ماهر

- لكن الحياة لم تبقَ كما كانت ... جميع العوامل تبدلت , أصبحت تحتاج إلى معطيات أخرى

- لا ... صدقني يا بني ... القشرة الخارجية هي التي تغيرت ولكن مكنون الشئ ما زال يحتفظ بثوابته , فالحياة كما هي إذا أخرجناها من لون الأبهار الذي أتشحت به ... الحياة تظل كما هي ولو طالت السنوات إذا اعدنا إليها توازنها المعهود ... اذهب وابحث عن ذلك التوازن بين الشمعة والهواء

قالتها وهي تضع يدها على كتفي حين تذكرت تلك اللمسة الحانية التي إفتقدتها وأنا صغير ... قبلت يدها وانصرفت وما زالت في عيني دمعة تخجل من ثباتها

المرأة التي لا يعرفها أحد

أسير بسيارتي ليلا حيث لا جدوى من الذهاب إلى البيت مبكرا لأجلس بين جدرانه وحيدا , لنظل ننظر لبعضنا البعض في وجوم ...!

كان هدوء الليل حين رأيتها .. خطواتها تنقلها في حيرة وتخبط , وكأنها قطة تبحث عن مأوي , إمرأة ثلاثينية العمر بثيابها المحير , هل هو ذلك الثياب غالي الثمن أم لا ؟ فلقد كان ثيابا لامعا حريريا يبرز أنوثتها رغم احتشامه..! أوقفت السيارة وأقتربت منها , من ثيابها الأنيق فقط على جسدها , كان الشارع هادئا , وكل شئ مهيئ لتبادل الحديث , نظرت إليها فتوقفت عن السير الذي لا تعرفه قدماها !
نظراتها ويديها تريد أن تقول الكثير , طلبت منها أن نجلس سويا بداخل السيارة , جائني الرد من عينيها بالموافقة قبل أن أنهي طلبي , جلسنا ننتظر ان ما ستسفر عنه الأقدار , هي لا تنطق , قمت بالإتكاء على باب السيارة من الداخل , لكن نظراتها ظلت تهرب من نظراتي وكأنها تخشى الاصطدام , يداها تغطي بعضها البعض وكأنها تخبئ شئ ما ,

مرت دقائق وهي صامتة , أردت أن أفعل شيئاً , أدرت محرك السيارة وهي مازالت مستسلمة لا تلقي بالاً , استسلامها لرجل لا تعرفه له إحدى دلالتان , إما أنها فتاة ليل وهوى , وإما أن تكون امرأة محطمة تجد فيه الملاذ , صمتها ولباسها الأنيق المحير جعلها أقرب إلى الاحتمال الثاني ...
أوقفت محرك السيارة , طلبت منها أن تخرج , كانت نظراتي تراهن على شئ ما , وأتي الرهان ثماره حين نطقت أخيرا بأنها تريد الحديث , كانت نبرة صوتها الذي سمعته للمرة الأولى كصوت قطرة ماء أنتظرتها كثيرا لتسقط في بئر عميق , بدأت الدموع تذرف من عينيها , كنت في حيرة لا

أعرف هل هي دموع حقيقية أم أنها تستعطفني لشئ ما ؟
أعطيتها منديل ورقي وبدأ الحوار :

- كيف تراني ؟
- اراكي جميلة جدا ... (كنت أعلم ما تقصده)
- لا اقصد الشكل , ولكن ما هو انطباعك تجاهي ؟

(بدأت أماطل في الحروف حتي أجد إجابة لا تغضبها) ثم قلت :

- أنتِ إنسانة تحملين مشكلة بداخلك وهي ما جعلتك حائرة ومرتبكة , ورغم ذلك برائتك وطفولتك يفضحانك , ولذا تبدين جميلة .
- أنت إنسان ذكي جدا
- ما سبب هذا الوصف ؟ فأنا دائما ما أتصرف بطبيعية تبدو ساذجة
- لأنك لا تريد أن تغضبني , فأنا أعلم أن ما فعلته لا يعطي أي إنطباع جيد عني
- لا تفكري بهذه الطريقة , فجميعنا يصيب ويخطئ , وكثيرا ما تسوقنا الأحداث لأفعال لا توافق حقيقتنا

- معك حق ... قالتها وهي تخفي وجهها في مقبض باب السيارة حينما أغرورقت عيناها وهي تحاول النزول , ولكن يدي سبقت يدها التي انتفضت وأبت أن يستمر هذا التلامس فسحبتها سريعا بحركة ترنو الي الاستسلام ..!
- وسألتها ... من أنتِ ؟
- بدأت تتحدث في بطئ وكأن طفل يتحسس حروفه للمرة الأولى وتقول : إمرأة متزوجة وفجأة أصبحت وحيدة , مات زوجي في الخارج

منذ أسابيع , ترك لي طفلين , فوجدت نفسي فجأة أمام سيل من المسؤوليات والمشاكل .

- يبدو من كلامك أنك متعلمة ؟
- نعم , أنا حاصلة على ليسانس آداب .
- هل تعملين ؟
- لا ... كان صعب أن أعمل في ظل سفر زوجي , رعاية الأولاد لم تدع لي فرصة لذلك .
- هل تسمحي لي أن أدعوك للعشاء ؟
- لا , وقت أخر فالوقت متأخر .
- حسنا ، سأرافقك إلى بيتك .
- لا , أيضا فالبيت قريب من هنا .
- إذا نتبادل أرقام الهاتف .
- هذه المرة لا... لا مانع ... قالتها وهي تبتسم , تبادلنا أرقام الهاتف , إستأذنت لتذهب , نزلت من السيارة , كنت أنظر إليها نظرة رجل متفحصة , حين لمحت شيئا ما على المقعد , كانت حقيبتها الخاصة, توقفت قليلا قبل أن ألحق بها .. فتحت الحقيبة لأجد متعلقات عادية

لا تعدو عن الاشياء التي تحملها حقائب النساء , وجدت مبلغ قليل من المال , هداني تفكيري أن أضع بجانبه مبلغا آخر قبل أن ألحقها , وما إن رأت حقيبتها حتى ابتسمت وهي تضع يدها على فمها , قبل أن تأخذها وتشكرني وهي تنصرف .

في الغد ذهبت إلى بيتي مبكرا منتظرا مكالمتها , لكنها لم تفعل , قمت

بالإتصال على الرقم الخاص بها لكن الهاتف الخاص بها مغلقا , انتظرت أياما ولكن لا جديد , فلم أعثر عليها حتى الأن . ظللت أفكر في كلمات الحوار الذي جمعني بها , وأتذكر ملامح وجهها وأسأل نفسي سؤال لا أجد أي إجابة شافيه عنه .. من تكون تلك المرأة .. ؟

أستاذ شوقي

أستاذ شوقي رجل محير لكل من يتعامل معه , فإذا تصادف يوما وقمت بالحديث معه أو راقبت تصرفاته فستجده رجلا لا تستطيع تحديد هوية له ..

هل هو رجل حويط ؟ أم رجل ساذج ؟

هل هو غامض , أم كتاب مفتوح تستطيع قراءته من أول صفحة ؟

هل هو مقبل على الحياة , أم أنه ذلك الرجل شديد الانطواء الذي يخشى حتى نسمة الهواء , هو رجل تحيرك عفويته أحيانا , وبعدها بلحظات يشتتك صمته وغموضه, فلا تعرف له وجهة , هل هو ذلك الصمت لجهله بالأمر, أم النابع من فهمه العميق بها .

إذا اقتربت منه لتحاوره وتعرف رأيه في موضوع ما تجده يجيبك بإجابات عامة تحمل كل المعاني والوجهات , فلا تعلم هل هي كلمات عالم ببواطن الأمور , أم أنها مجرد دردشة عادية , وكلمات تقال في سياق أحداث متشابهة .

أما إذا صادفته يوما يجلس بجوارك على القهوة , تدهشك طلباته المخصوصة جدا في المشروبات , وهو يطلب من صبي القهوة قرفة بالحليب مشعرة جنزبيل , مع حجر الشيشة المخصوص جدا , فتشعر أنك أمام معلم كبير أو إنسان صاحب شخصية فريدة , في حين يمر بائع الصحف , تجده يأخذ منه الجريدة , ويترك كل ما بها من عناوين وأخبار , ليظل يقلب أوراقها في لهوجة كطفل يمتعه صوت الأوراق حتي يعثر على صفحة الكاريكاتير , وما أن ينتهي من قراءة نكتة اليوم حتي يعلو صوت ضحكاته القعقاعة في سذاجة وإهتزاز !

وهو رجل ميسور ماديا , يملك أسطولا من السفن , وفي الحقيقة لم تكن

ثروة التي بناها بنفسه , ولكنه ورثها عن والده الحاج عبدالعاطي رحمة الله عليه , والذي كان شريكا في عبارة واحدة مع شريك يهودي قيل أنه هاجر مع اليهود إبان الحرب العالمية الثانية وترك السفينة لشريكه المصري , الذي استطاع فيما بعد أن يجعلها أسطولا من السفن , ليرثه شوقي دون عناء ...

دائما ما تجده صارما في كل ما يخص عمله , حتى في تعامله مع الموظفين والعمال حتى قباطين السفن , والكل يتذكر الحادثة التي تعرضت له إحدي سفنه , والتي نالت من سمعة شركته أكثر من الخسائر المادية , والتي تحملتها شركة التأمين بأكملها ... يومها لم يسامح أحدا , ومن أنقذه الموت غرقا لم ينقذه الفصل وإنهاء خدمته بعد أن حمّل طاقم السفينة مسؤولية الحادث في عدم اتخاذ إجراءات السلامة البحرية .

وهو متزوج من امرأتين , كل من يراهما يقسم أنه رجل يعشق التنوع ويكره الملل صاحب مزاج خاص جدا في المرأة , فإحداهما شقراء والأخرى خمرية بضة الجسد , لكنك تتعجب عندما تجده يوما ما عصبي المزاج , عندما يعلو صوته وهو يتحدث مع إحداهما هاتفيا وهو يرجوها كالطفل بألا تغضب منه , وإلا فسيتركها ويذهب للثانية , ويظل يقسم لها أنه يعشقها أكثر من الأخرى إلى أن يدخل عليه أحد الموظفين ...
حتى يحل المساء يُمسي طفلا أمام نشوته , لتذوب تهديداته لهما بمجرد أن يشتم رائحة إحداهما عند مرورها أمامه بملابسها الشفافة .

تليفون الأستاذ شوقي هو سبب الخلاف الأذلي بينه وبين زوجتيه , فظروفه تضطره الي عدم الرد على اتصالاتهما في كثير من الاوقات ... إلا أنه في الحقيقة يكون موجودا بداخل استراحته السرية الخاصة , القريبة من الميناء , يمارس بعض أعماله الخاصة التي تنمي لديه الاحساس بالكبرياء..! والتي كثيرا ما يفتقده أمام زوجتيه

إلا أنه عندما لا يجيب على التليفون , يكون الاتصال التالي من إحدي زوجتيه قاصدا المهندس حشمت والسؤال التقليدي هو ... أين شوقي يابشمهندس ...؟

والمهندس حشمت هو مهندس العمليات الخاصة لدى السيد شوقي , فهو يعلم كل كبيرة وصغيرة بالميناء , بل إنه أحيانا يصدر التعليمات الشفهية إلى إدارات العمل مبتدئا كلماته بعبارات مثل :
السيد شوقي يكلفكم بهذا الأمر ... لقد حدثني في التليفون وطلب مني

أن أبلغكم كذا ...

أصعب ما كان يواجه شوقي هو ألا يجد حشمت أمامه ... الظروف كانت تستدعي ذلك الأمر .. صيانة إحدى السفن في عرض البحر تجعله يغيب ربما لأكثر من أسبوعين , ليجد صوت شوقي منقولا إليه عبر موجات الراديو , يرجوه أن يعود فورا ... ليس لأن هناك سوءا ألم بناقلة سفن ويحتاج الأمر للتدخل السريع من حشمت , ولكن ليقنع احدي زوجاته التي غادرت منزل الزوجية بالعودة , فكان كثيرا ما يختلط بوق السفن

بحنجرة شوقي ودموعه بمياة البحر , لا يجد حشمت خيارا آخر وهو يعلم أنه عندما يعود اليه فسيجده منزويا بأحد أركان المنزل كمريض يأس من الحياة, فالحياة في الميناء معطلة , وشوقي لا يغادر منزله .. لا يرد على تليفونات الشركة , وفي اليوم التالي بعد عودة زوجته تجد صورته وقد تحولت من صورته الشعثاء إلى ذلك الشخص الأنيق المقبل على الحياة لاسيما وهو يعاقب موظفيه عن تعطيل إجراءات العمل التي تسببوا بها وسط ذهول الجميع ...!
ظن شوقي أن حياته ستظل هكذا ... فزورق الإنقاذ ينتشله دائما قبل الغرق ...!

عاد حشمت من رحلته الأخيرة , وهو لا يعلم كيف سيواجه شوقي ... هل سيتظاهر بعدم المعرفة وأنه قد فوجئ بالأمر ؟
هل سيقتنع شوقي بذلك ؟
بل أن الأدهي من ذلك هو كيف سيواجه الأمر ... لم يصدق حشمت نفسه عندما وجد مراسلاته وأبحاثه في مجال هندسة السفن لاقت قبولا لدى

كبرى شركات صناعة السفن العالمية , والتي رشحته بجانب منحة مدفوعة الأجر إلى العمل بالاتحاد الدولي للموانئ .

ودّع شوقي صديقه وهو لا يعلم كيف سيتحمل فراقه ...؟ كيف سيواجه عثراته بدونه ...؟ فلقد شعر كل منهما أنه لن ينجح بدون الآخر ,ولكنها الحياة التي تتركنا كثيرا في حوار مع الوحدة ...
فأحيانا تنجح صورنا لدى الاخرين في حين أننا نفشل أمام أنفسنا , تلك

الجملة التي قالها شوقي لنفسه , بعدما سمع الحوار الذي دار بين مجموعة من العمال لديه عندما كان قادما لتوه ولم يلحظوه. .. كانوا يحسدونه على ماله وعقله الذي يدير به أسطول سفنه , لكنه حزن كثيرا عندما سمعهم , لأنه الوحيد الذي يعلم الحقيقة

فالسر لن يدوم طويلا , فلقد سافر حشمت , سافر بعيدا وربما لن يعود .

رسالة الفرصة الأخيرة

كان يعلم جيدا بأن الله لن يقبض روحه وهو يصلي , فهو لا يرقي لهذه المرتبة التي يتمناها الكثيرون , صلاته كانت في تلك اللحظات التي يشعر فيها باقتراب الموت منه , أما باقي أيام حياته كانت بين أحضان بائعات الهوى ينفق عليهن ماله ولذته الملتهبة .
ورغم أنها متعته المعهودة منذ أن شعر بها لأول مرة في حياته إلا أنه كان يخشي تلك اللحظة التي قد تنتهي فيها حياته وهو بين أحضان امرأة, ويذهب فيها إلى الله , هذا ما كان يراه يتكرر في أحلامه , ليقوم من نومه مفزوعا , يصلي لله ويعلم انه أبعد ما يكون عن تلك الموته , وذلك الشرف.. وهو يصلي .

لكن سرعان ما يعود لسابق عهده عندما يتوسط مناوشات غريزته مع فطرته والتي تنتصر فقط في تلك اللحظة التي هي أضعف ما يكون , وهو منهكا من فرط اللذة !!

سقطاته توهمه بالإستمتاع بها بعيدا عن الله وهي تسرق منه ذلك الوقت عن أعين ضميره الملقي على وجهه ..!

اليوم هو موعد نشوة جديدة , لكنه كان قلقا وهو ينظر إلى وجهه في المرآه ليجهز لحادثه المعتاد , عيناه الزائغتان لا تعلم ما هو المصير .. لا يعرف من أين يأتيه القلق هذه المرة , هي ليست المرة الأولى , لكن هذه المرة كتلك التي يتذكرها جيدا , منذ حوالي عشر سنوات , حين كان أول لقاء له بامرأة ... ظل يطاردها لشهور بعد أول لقاء جمعه بها , وكيف أنه تعذب عندما وقع في وهم حبها .. لقد كان قليل الخبرة ببائعات الهوى,

ظن أنها أحبته منذ لقاءهما الأول , ليفاجئ بعد ذلك بأنه ما كان إلا نقطة حبر في كلمة كبيرة تسمى ... لذة اللحظة ... وما يتبعها من كلمات أحبك .. أعبدك ..أنت كل شئ في حياتي ... بل أنت أغلي منها ... كان عقله وقتها عقل طفل ساذج يبعث تلك الإشارات الصبيانية لقلبه الذي يقبلها وينفذها حرفيا ...

لا يعرف لماذا يرتعد قلبه وهو في طريقه لنشوته الجديدة , هل سيتحقق ما يخشاه , وتكون هذه هي النهاية وهو بين أحضان بائعة هوى ؟ تكون النهاية التي كثيرا ما كانت تراوده في منامه بهواجس تداعب عقله بتلك المداعبة التي جعلته غير راضٍ عن حياته في الفترة الأخيرة ... ويسأل نفسه.. هل هذه هي البصيرة ؟ وأن القدر يحذره من شيئ ما ... يسأل نفسه هذا السؤال وهو يشعر أن هناك قوي أخرى تسخر من سؤاله .. ليعاود محادثة نفسه .. بصيرة ... لي أنا ... فأنا لا أسجد لله إلا في اللحظة التي أشعر بها بقرب النهاية حتى أمنح نفسي عمرا جديدا .

ظل عقله يطرح التساؤلات ويحاول الإجابة عليها إلى أن وصل إلى تجربته الجديدة .

ضغط على جرس الباب فتحت له حيث بدت متألقة ... في أزهي ما يكون وكأنها تمثال لإمرأة إيطالية منحوتة بمهارة .. حيث قسمات جسدها وانحنائاته التي تعطي ذلك الإنطباع بالسر الوجودي الكامن في المرأة والتي لن تبوح به أبدا , كل ذلك وأكثر رآه بتلك النظرة المغلفة لها والتي لم تستمر سوي برهة قام خلالها بعمل مسح شامل لتلك النذوة الجديدة

وبخبرته المعهودة ...
جلسا يتحدثان ويتقاربان وهو ينظر إلى عينيها التي تنبئ بعلاقة حميمة , حديثه معها أنساه خوفه الذي طارده طيله الطريق , بدأ يتلمسها , وكأنه يتلمس وجوده وسعادته للمرة الأولي .

سقطت من بين أحضانه ... ليجدها ملقاه على الأرض جثة لا تتحرك .. يبدو أن الزائر الذي زاره كثيرا في منامه كان على موعد معه في صحوته, تجمدت عروقه وتيبست عضلاته , جف لعابه .. جثي على ركبتيه ليتحسسها ثانية .. لكن شتان بين تلك وسابقتها التي كانت منذ لحظات , دارت بعقله للحظات هواجس وامضة تحتاج ساعات للإجابة , وكأنها رياح لفحت وجهه المتجمد بلهيب اللحظات الأخيرة .
فمنذ ثوان كان يتحسسها ويستمتع بملمسها الطري المثير لشهوته , منذ لحظات كان يطوق بداخل ذراعيه ذلك الخليط بين النشوة واللذة والإحساس الغارق في أسيل جسدها بعروقه التي تضخ الدفئ والحنان..

ليصبح ذلك الجسد واهب اللذة ... شيئ مرعب حقير يثير الإشمئزاز لكل من يقترب منه .. في لحظة تحولت النشوة والسخونة والعنفوان إلى شئ ما متصلب يبث الخوف . وهي دائما ثقافة اللحظة , فلحظة تفصل بين الموت والحياة , لحظة تمنحنا السعادة , وأخري تسلبها , لحظة تكسر حاجزا ظللنا لسنوات نخشاه , وفجأة نجده لا شئ .
اليوم يجدد له ملك الموت تلك الزيارة ولكن بعد تلك الحادثة بعشرين عاما , دخل عليه ملك الموت هذه المرة وهو لا يرتعد بين جسد بائعة هوى , ولكنه كان يرتعد ويبكي ... وهو يصلي .

على أطراف المدينة

الوضع غير طبيعي بداخل الفندق , سيارة إسعاف .. نزلاء تخرج من حجراتها بملابس النوم وهي تسأل عما يحدث , إلا هي , فلقد كانت الساهرة الوحيدة , ترتدي ملابسها كاملة , يبدو أنها قادمة لتوها من الخارج , أو أنها غير مدركة لما يحدث من حولها , هي المرة الأولى التي أشاهدها , كانت تبدو جميلة , ملامح وجهها تحثك على محادثتها بدون مقدمات , في كافة الموضوعات , فهي لن تخذلك , هي لا تحمل الكثير من العراقيل التي تضعها النساء , حتى شعرها كانت تقوده بأعلى رأسها بدون صعوبة , إنسيابية ملفتة , ويبدو أن بريقها أخذني .

كنت أول من اكتشف الحادثة , عملي في الفندق يستلزم أن أمسك بثلاثة أشياء... القلم ... المذكرة ... والساعة , فعادة ما يكلفني نزلاء الفندق بمهام كثيرة , وكان من الطبيعي أن أدون تلك المهام , كي أذكرهم بها في أوقاتها, وأتبع أولوية التنفيذ تبعا لأسبقية الزمن , وكانت المذكرة أمامي والساعة تقترب من الواحدة صباحا ...

بدأ جدول ترتيب الأعمال بعد أن تسلمت ورديتي في تمام منتصف الليل , حيث كان ميعاد عشاء نزيل الحجرة ٣٧ , أبلغت الجرسون بإدخال العشاء إليه , وأنا أهمس في أذنه أن يهتم بالمقبلات جيدا , هو رجل عاش حياته بين الجبال في الصحراء , عمله في مجال الجيولوجيا جعله يقضي معظم حياته في الصحراء , وعندما عاد إلى بلده , لم يجد أحدا بعد غياب طويل بالخارج , كان يعمل ضمن فريق جيولوجي غربي , قضي معظم حياته في الغابات والصحراء , فألف حياته بتلك الفنادق التي تقع على أطراف المدن, ورث حبه للمقبلات من فندق في السودان , التي قضي بها العديد

من السنوات حتى أنه لم ينس تلك العادة عندما عاد إلى بلده
وكانت الساعة الواحدة صباحا تماما , حيث موعد دواء السيد رفعت , لقد أوصاني كثيرا بتذكيره بميعاده , خاصة إذا كان مستغرقا في النوم , لم يرد حين طرقت باب الغرفة , كنت على علم بوجوده بداخلها , قلقي قادني إلى فتح الغرفة بالنسخة الإحتياطية , فزعت حينما شاهدته ملقى على الأرض , تحسست أنفاسه بيدي , لاجده يتنفس , فاطمئننت وتحدثت بتليفون الحجرة مع الاستقبال لطلب سيارة الإسعاف ..
بمجرد قدوم سيارة الإسعاف عمت الفوضي بالفندق , خرج الجميع من حجراهم , حينها لفتت نظري تلك المرأة التي كانت بكامل هيئتها
نزل المسعفون إلى بهو الفندق يحملون السيد رفعت , كنت أعلم إنها نوبة سُكر وأنها كثيرا ما تأتي له , في تلك اللحظة وجدت تلك المرأة وقد تبدل حالها , جاءتني مسرعة تطمئن على السيد رفعت وهي تسألني إلى أي مستشفي يتم نقله ... أبلغتها بكافة التفاصيل وتركتني لتجلس في أحد أركان بهو الفندق , لتجري بعض الاتصالات في توتر وقلق .

فكرت في تلك اللحظة بالإتصال بأبناءه ... نعم أبناءه فلقد رأيتهم يزوروه بالفندق , لقد حكى لي كثيرا عنهم . هو يقيم بالفندق منذ سنوات , لم يغادره , يخشى الذهاب إلى وسط البلد فيتوه , أو ربما يراها , فلا يعرف ماذا يفعل , فلقد انفصل عنها منذ عشرين عاما حين كانا في وهج شبابهما, ومن يومها وهو يخشى تلك المواجهة , فكان إذا توجه إلى المدينة لأمر ضروري سرعان ما يعود , حتى أنه يتصل بأبناءه قبل الذهاب حتى يتأكد أنها بالمنزل ولم تغادره , وهو في الحقيقة لا يخشاها , ولكنه كان دائما

يلقى على بيتا من الشعر لشوقي يقول ...
هجرت بعض أحبتي طوعا ...
لأنني رأيت قلوبهم تهوي فراقي ...
نعم أشتاق ...
ولكن وضعت كرامتي فوق إشتياقي ...
أرغب في وصلهم دوما ولكن ...
طريق الذل لا تهواه ساقي ...
كان يلقي عليّ تلك الأبيات وعيناه تتغورق بالدمع ... وهو يقول لي لقد عانيت كثيرا رغم أنني كنت أحبها , ولكن إن لم انفصل عنها لكانت فعلتها هي , وكنت وقتها ما سامحت نفسي طيلة العمر ...
توجهت إلى حجرة السيد رفعت للبحث على أرقام ابناءه على هاتفه واتصلت بأحدهم , ففوجئت بأنه في الطريق نحو المستشفي وإنه قد علم بما حدث لوالده , فوعدته بالاتصال به لاحقا للإطمئنان عليه , واعتذرت له لعدم تمكني من ترك عملي ...
عدت سريعا إلى بهو الفندق لأستكمل عملي , وكانت حركة الفندق قد عادت إلى طبيعتها , نظرت في مفكرتي لأجد أن مهام الليلة قد انتهت ,

وعلى أن أتسلم وردية العمل بالاستقبال حتى الثامنة صباحا
مر الليل رتيبا كالعادة ما بين وصول نزلاء قادمين لتوهم من الخارج وبين طلبات المقيمين التي لا تنتهي, حتي كانت الساعة السابعة والنصف صباحا , حيث كان لزاما على أن أتصل بابن السيد رفعت حيث تأخرت عليه كثيرا , ولقد طمئنني وقال لي أنه بدأ يستعيد وعيه , وأنها كانت نوبة سكر ... حمدت الله وقبل أن أنهي المكالمة , أخذني الفضول لكي أعرف من

الذي أخبرهم بخبر نقل والدهم إلى المستشفي , حيث أبلغني أن هناك امرأة أبلغته من داخل الفندق

أشار منبه ساعتي إلى العاشرة صباحا , على التوجه الي الحجرة رقم ٣٦ , تذكرت قبل طرق باب الحجرة أن أعيد النظر في تناسق ملابسي فنزيلة الحجرة تتسم بالأناقة والدقة الشديدتين , فعلى مدي عشر سنوات بالفندق لم أجد امرأة بمثل تلك الاناقة ... إنها مدام درية, اليوم هو موعد اللقاء الشهري لها مع صديقاتها , وهي نزيلة الفندق منذ سنوات , حيث أنها تعيش بمفردها بعد انفصالها عن زوجها, وكان الاجتماع الشهري مع صديقاتها للحديث في أمور حياتهن الزوجية, كنت في البداية أعتقد أن الزوجات اللاتي تجتمع بهن مختلات عقليا , فكيف يسمحن لامرأة لم تستمر في جميع فترات زواجها أكثر من سنتين أن تنصحهن وتناقش مشكلاتهن الزوجية , كنت مندهشا حين رأيتهن من خلف الأشجار, لا أعرف ما سبب اختيارهم حديقة الفندق في تلك المرة, ويبدو أنه كي أستمع لهذا الحوار وأنا أحتسي فنجان القهوة, لم أبرح صفحة الجريدة التي في يدي ... فلقد شدني الحوار ...

-مدام درية : ما أخبار صديقاتي العزيزات ؟ أخبارك ايه يا جميلة ؟

- جميلة : أنا عن نفسي فعلت الكثير , ذهبت للكوافير اكتر من ١٥ مرة هذا الشهر

- هند : فعلا تسريحتك مختلفة اليوم ... أنا لو من جوزك كنت قفلت عليكي النهاردة ... تتعالي الضحكات

- مدام درية : ازيك يا هند ... لسة البيه بيلعب بديله

- هند : والله انا احترت يا مدام درية , بعد المواجهة اللي تمت

بيني وبينه انكر وقلب الموقف لصالحه , وحسسني ان انا الغلطانة في شكي فيه , ومن يومها بيبات برة , يأتي ليأخذ بعض متعلقاته ويمشي تاني

- مدام درية : تفتكري بيبات عندها
- هند : بجد انا مشوشة , ومش قادرة افكر خالص
- مدام درية :انتي كده في مرحلة فقد الثقة ... انتي ناسية الرسايل اللي كانت على تليفونه
- هند : لما واجهته , أقسم لي انها بعتتها له علشان هو يبعتهالي , وانها شيء عادي بيحصل بين الزملاء بالعمل
- مدام درية : ده صنف الرجالة وأنا عارفاهم كويس , علشان كده كان لازم تلبدي له في الدرة ولا تتسرعي بمواجهته لحد ما تجدي دليل قوي
- هند : أنا لما شوفت الرسايل لم اقدر اتمالك وجريت عليه وواجهته
- مدام درية : المهم .. انتي لازم تصالحيه وترجعيه البيت وتعطيه كل الثقة لغاية ما يثق فيكي وبعدها تبدئي تراقبيه بحذر وعلى مدي طويل لغاية لما تمسكي شوية دلائل حلوين وتقومي ساعتها رمياهم في وجهه , ووقتها حيعترف بكل شيء ... وانتي يا حنان .. أخبار الدكتور هشام ايه؟ لسه ناوي يفتح مركز التجميل العالمي
- حنان : خلاص كتب عقد الفيلا الخاصة بالمركز من أسبوع
- مدام درية :وحيكون فين عنوانه ؟
- حنان : في النزهة
- مدام درية : قريب خلاص انا لازم أحضر حفل الإفتتاح , وكويس انه جنب المطار لأن زي ما انتم عارفين بكره زحمة مصر
- حنان : أكيد ده شرف لينا يا مدام درية , وحتكون فرصة نستغلك ترويجيا بجمالك ده

- مدام درية : وهي تضحك ... وأنا موافقة لإستغلالي ترويجيا يا حنان

- حنان :سؤال تطفلي يا مدام درية بعد اذنك ... لماذا لم تتزوجي مرة أخري ؟ ... هنا نظر الجميع الي حنان في حرج , ولكن سرعان ما ازالت درية الحرج عنهن بالرد ...

- درية : أبدا يا حنان ... أنتي تعلمين إني لا احب التقيد وزحمة البلد , وللأسف لم أجد الرجل اللي يتفهم عقليتي , فقررت أعيش بمفردي ... أسافر لبنتي الوحيدة في فرنسا , ثم أعود لاقيم في حجرتي هنا بالفندق علشان اقابلكم , وسعيدة بيكم وبحياتي بهذه الطريقة

- يردون جميعهم في معني واحد , ونحن أيضا

كنت لا أزال أستمع الي الحوار , حين حدثني أحد موظفي الفندق وطالبني بمهاتفة نزيلة الغرفة رقم ١٠٢

توجهت إلى السويتش لمهاتفتها :

- صباح الخير
- صباح النور
- تحت أمر حضرتك
- أريد سيارة ليموزين لزيارة السيد رفعت
- حضرتك ذاهبة للاطمئنان على السيد رفعت ؟
- أيوة
- ممكن اتشرف بتوصيلك بسيارتي ؟ أود الاطمئنان عليه أيضا , كما أريد ان اسهل عليك الأمر
- لا يوجد مانع , هذا شيء يشرفني

- وهو كذلك , سأنتظر حضرتك في الاستقبال .. أسمي حسين .. مسؤول العلاقات العامة بالفندق

- تشرفت بك أستاذ حسين .. خلال نصف ساعة ستجدني أمامك.. مع السلامة

- مع السلامة

بعد نصف ساعة وجدتها أمامي ... نعم هي تلك المرأة التي كانت جالسة بالبهو عندما دخلت على السيد رفعت وكان مغشيا عليه , إنها تلك المرأة التي تدعوك ملامحها الي محادثتها وتشعرك بأنها لن تخذلك ...

توجهنا إلى سيارتي وفتحت لها الباب وأجلستها ... أغلقته برفق غير معهود خاصة مع سيارتي التي أتعبتني كثيرا , ولكن الشيئ الغريب أن السيارة تفهمت ذلك وقبلت بتلك الدفعة الحانية , توجهت مسرعا لقيادة السيارة .

من شرود عينيها وحركة رأسها التي تطل ببعض من القلق , ترددت كثيرا قبل محاولة إزاحة هذا التوتر , ولكني جمعت ما بي من قوة , حينما أمسكت عجلة القيادة بحزم , في محاولة لكسر حاجز الصمت ...

- أتعرفين السيد رفعت ..؟

- صمتت قليلا قبل أن تجيب ... نعم أعرفه ... تعرفت عليه منذ أيام قليلة

- ولكن عفوا .. السيد رفعت لا يغادر الفندق إلا قليلا جدا

- لقد شاءت الأقدار أن أتعرف عليه في مرة من تلك المرات القليلة التي يغادر فيها الفندق , عندما كان في زيارة للطبيب المعالج له , حيث

طلب منه بعض التحاليل الطبية بالمعمل الخاص بي , وقتها كان يبدو عليه التوتر , حتي أن نتائج التحاليل الخاصة به كانت تشير إلى كارثة صحية , فلقد كانت دقات قلبه فوق المعدل الطبيعي بمراحل , أشعة الايكو تشير لارتفاع ضغط الدم بالشريان التاجي .. وقتها اهتديت إلى وجود خطأ ما وقمت بإعطاءه حقنة مهدئة , أعدت له الاشعة التي جاءت مطمئنة

- اسألها وأنا أخفي المكر بشرود فاضح ... وما سبب الحالة التي كان عليها ..؟؟

- إن لم يخبرك بنفسه فلا شأن لي بالإجابة عن ذلك السؤال ... فهذه أسرار موكلي يا سيدي ... قالتها وهي تضحك

وكم كنت سعيد بأنني استطعت ان أخرجها من تلك الحالة التي كانت عليها وقت ركوب السيارة ...

تزامنت ضحكاتها مع وصولنا للمستشفي , وبمجرد دخولنا إياها حتي أسرنا رؤيته وهو جالس بحديقة المستشفي .

****

مسيو جمال ... عندما يحل نزبلا لدينا بالفندق فإن الأمر يتعلق بصفقة ما حضر سريعا من فرنسا لإبرامها , فهو يقيم بها منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما , لديه مؤسسة كبيرة تعمل في مجال كافة انواع الصيانة الخاصة بالمباني والمنشآت .

لم أجده في إحدي زياراته مشتاقا لبلده , حتي لغتها بدأ في نسيانها , أخر مرة قدم فيها الي الفندق منذ عدة سنوات تحدثت معه بالفرنسية بعدما وجدت صعوبة في حديثي معه بالعربية , حضر إلى الفندق منذ ساعتين والحجز مستمر لمدة يومين فقط , سيقيمهما بالفندق كعادته , وكان على رأس جدول أعماله غدا الالتقاء بأحد مسؤولي العلاقات العامة بالفندق سابقا , وهو اليوم مديرا تنفيذيا لإحدي شركات الاستثمار العقاري والتي تمتلك مدينة سكنية خرافية

وفجأة قررت أن اهاتف جاد المولي ... فلم اكلمه منذ عدة شهور ...

- أنا : أزيك يا رجل ...
- هو : أهلا بأعز صديق منضبط رأيته في حياتي ... أخبارك أيه يا حسين .. ؟ واحشني ..
- أنا : ولما أنا واحشك أوي كدة .. أين مكالماتك ..؟
- هو : لا تؤاخذني يا صديقي .. فالمشروع الذي أديره أخذ منعطف جديد
- أنا : واضح أنكم توسعتم بشكل رائع حتي وصل الأمر للإتفاق مع شركة صيانة فرنسية ... بالمناسبة .. لا تنس موعدك مع مدير الشركة غدا في الخامسة
- هو : مازالت طبيعتك المهنية غالبة عليك يا حسين

- ضحكات متبادلة

انتهت المكالمة معه بعد استكمال حوارنا , علمت أنه تزوج وأصبح لديه ابنا في الثالثة من عمره ... ولكني حدثت نفسي وتسائلت في استنكار ... كيف كان سيصبح حالي لو كانت لدي أسرة ..؟

ظللت فترة أفكر , إلى أن أقنعت نفسي أن حياة العازبين هي أنسب حالا لي , فكيف كنت سأعيش في موائمة مرهقة بين البيت والعمل ..؟ لو كنت متزوج لتركت العمل بالفندق والتحقت بأي وظيفة روتينية من الساعة الثامنة صباحا حتي الثالثة عصرا , لأعود الي بيتي لأرتمي في أحضان زوجتي وأولادي , ثم أخرج ليلا للجلوس على القهوة مع الأصدقاء , لنضيع الوقت ونتناول الاحاديث مع رشفات قهوة باهتة الطعم مثل أحاديثها , مع شعور بالحسرة على قهوة صديقي البنجلاديشي ...!

****

كنت مستلقيا بداخل حجرتي بالفندق وكانت الساعة تشير الي الخامسة فجرا ... فلقد كان يوم راحتي .. ظللت أفكر في حالي بالفندق في ظل رائحة الصباح التي تحتاج الي القهوة البرازيلية التي يعدها صديقي البنجلاديشي, هو يفهمني بمجرد رنة على هاتفه , لأجده بعدها بنصف ساعة يقف امام الباب ... نعم نصف ساعة , إنه يعدها بإتقان وبطريقته الخاصة , ليست كما نشربها نحن المصريين أو كالتي كنت سأتناولها على القهوة مع أقراني ممن يهربون يوميا من ضجيج الزوجة والأولاد ... رحت أضيع الوقت في التفكير في حال الفندق ونزلاءه ... طرأت ببالي فكرة ... فعلى مدي العام يأتي إلى الفندق رجال أعمال مصريين مغتربين , ومعظمهم إن لم يكن جميعهم لا يفكرون في أية إستثمارات بداخل وطنهم , فلماذا لا تعقد ادارة الفندق ندوات إقتصادية لكل في تخصصه كمحاولة لفتح آفاق ورؤية تساعدهم على الاستثمار في بلدهم ؟ لماذا لا يود هؤلاء العودة إلى بلدهم مرة أخرى ؟ عودتهم مجرد ترانزيت على أطراف الوطن , لا يتخطون عتبته , بل نجدهم على النقيض ينفقون الكثير من أجل الحصول على جنسية البلاد التي يعيشون بها حتى ترضي عنهم أو تخفض لهم الضرائب أو يحصلون على أية إمتيازات من شأنها أن تعلى من أسماءهم ومشاريعهم ... ظللت أفكر ولكن وجدت أن حالي لا يختلف كثيرا عن حال هؤلاء , ظللت هكذا لسنوات فلم أفكر في الزواج أو حتي زيارة أقاربي , حتى يوم عطلتي أقضيها بداخل حجرتي , ورحت أتعجب وأنا أتساءل ...

ألهذه الدرجة يستطيع هذا الفندق أن يغير من طبائعنا وأصالتنا ..؟ هل هو فندق للسكن أم أنه جدار يحتجزنا ..؟

الفنادق التي تقع على أطراف المدن صممت لا ليقيم بها أهل الوطن الواحد , ولكن الغرباء ليكونوا قريبين من نقطة الذهاب والعودة إلى أوطانهم مرة أخرى ... ظللت أفكر كثيرا حين شعرت بخجل هائل وأنا اتفحص هاتفي الذي كان على وضعية الصمت , فلقد تلقيت أكثر من اتصال من السيد رفعت ... مر يومين دون أن أطمئن عليه , ولكن اطمئناني بعودته أنستني الاعتذار عن إنشغالي عنه , وعلى الفور أكملت ملابسي التي اتنزه بها بداخل الفندق في يوم الاجازة وانتظرته على الإفطار كما أبلغته بالهاتف ..

في الخارج رأيت دكتورة إيمان ... وهي المرأة التي رافقتني زيارة السيد رفعت ..

- نظرت لي بإبتسامتها الهادئة وهي تقول : اليوم أخر زيارة لي بالفندق ..
- ومن الذي سيهتم بالسيد رفعت .. ؟
- ردت بنظرة تنم عن قراءتها لما وراء سؤالي الماكر ... هو لن يبق لديكم طويلا .. فلقد قرر أن يعيش بين الأحداث , لن يعش بعد اليوم على الأطراف وسيدخل إلى الأعماق
- وهل أستطعتي إقناعه فيما فشل به أبناءه ..؟
- لم أقنعه .. إنه القدر يا سيدي .
- وما هو القدر إذن ..؟!
- هو سيخبرك به , وقد تشاركنا في صنعه
- ابتسمت وأنا غير مذهول

لم يمر وقت كثير حتي وجدت السيد رفعت وقد بدا برؤية مختلفة تلك المرة , يبدو أنه سحر النساء ...!

كانت أول كلمة لي بعد أن هنئته بخروجه من المستشفي هي ... لا تدع حياك تنفلت منك بلا وعي .

ظللت بعد هذا اللقاء أفكر كثيرا في كلمته ... هل أراد أن يوجه نصيحة ما لي ؟ هل جلساتنا لساعات ليلا نتحاكي ونتسامر جعلته يعرفني أكثر من نفسي ؟ هل هي حسنة أم سيئة عندما تخبر الآخرين بالكثير عن نفسك وأحوالك؟

لم يكن هناك مزيد من الوقت . فيوم العطلة سينتهي بدون شيئ كعادة جميع الأيام بالفندق .. لا جديد , لا إنجاز على المستوي الإجتماعي , وفجأة لاح أمامي جاد المولي , قلت لما لا أهاتفه , فهو أقرب صديق قد يحمل حلا لحالتي المزمنة منذ عشرات السنين , فأحيانا تأتي الأقدار إلينا بتلك الحالة المبنية للمجهول , تريد أن تلفت أنظارنا بطريقة مستترة , وتخيلت لو أن نهاية يوم العطلة هي نهاية الحياة .

لم يرد على الهاتف , يبدو أنه مشغول .

السيد رفعت سيغادر الفندق .. أربعة سنوات قضاها بالفندق , بعدما سئم السكن بمفرده , سيعود للسكن في شقة , ولكن ليس بمفرده تلك المرة, أشار هاتفي بإستقبال رسالة ... ساقني تفكيري في لحظة أنه جاد المولي ... ولكني فوجئت أنها من السيد رفعت كان نصها

« لقد غادرت الفندق منذ قليل لإتمام مشوار ما , وسأعود عصرا لإنهاء حسابي بالفندق ... وخلال تلك الساعات عليك أن تقرر , الفندق لن يجعلك تغير نمط حياتك , تكلمت مع إيمان وليس لديها مانع في أن تصبح المدير المالي لجميع فروع معمل التحاليل الخاص بها «

ظللت أفكر في هدوء , فالبقاء بالفندق يجعلك تشارك جنباته لتصبح جزءا أساسيا منه , فتشعر بالغربة حينا تتركه وتذهب بداخل العاصمة , تماثل,

انصهار , ولكنك ستفقد حتما مميزات اكتسبتها على الدوام ..
صديق بنجلاديشي يقدم قهوة ذات مذاق رائع , حجرة للإقامة المميزة, أحاديث مدام درية , مبنى الفندق الذي يبتعد بداخل ممر طويل يأخذك بعيدا عن أخر نقطة تواجد بشري ليبعدك عن همومك , عن كل من يسبب لك الآلام , عندما تجلس بحديقته أو أمام إحدي نوافيره ليلا مع إضاءة ساحرة يتناغم خرير الماء معها تفقد السيطرة على حواسك ليتناغم الاحساس السمعي مع البصري ... تذكرت أول يوم لي بالفندق , وقتها كنت سعيد لحصولي على شهادة المعافاة من التجنيد , لم أكن أعرف أنني هربت من صحراء إلى صحراء أخرى , ولكن تلك بها كل سبل الرغد , ولكن قد لا يختلف الامر كثيرا , فهناك كان سيصبح لدي جندي للمراسلة يقوم على خدمتي , وكتيبة تنتظر أوامري , يتودد لي أفرادها كل يوم , أما هنا إخترت أن أنظم مواعيد النزلاء ورغباتهم , دون أن أبحث يوم واحد في ماذا يريد صاحب هذه الورقة والقلم ... رن هاتفي , استغرقت وقتا طويلا في استخراجه , ويبدو أنها امتداد لحالة الهدوء العميق الذي أصابني منذ رسالة السيد رفعت , وتسائلت هل انتهت مهلة الساعات بتلك السرعة ؟ لكنه كان جاد المولي , فكرت في ماذا أجيبه , هل ابلغه برغبتي التي أوشكت على الاندثار ؟ لكن يبدو أنني فكرت طويلا حتي صمت الهاتف .
توجهت الي الإدارة لأقدم طلبا بمنحي أجازة لمدة ثلاثة أيام , قررت أن أفك الارتباط القائم ولو لحظيا , تواجدي بداخل الفندق لن يسمح لي بإتخاذ القرار السليم , فأحيانا كثيرة نضطر إلى إطفاء أنوار عقولنا والخروج عن مكنوننا الجسدي والجغرافي والنظر على حالنا من زاوية على الجانب الآخر, حتى نقدر على تقييم حالنا والقضاء على اشكالية ما .

كنت لا أعلم إلى أين سأتوجه , وهل سأعود أم لا , ولكن قررت أن أراقبني من هناك .

فنجان قهوة

سيارة الإسعاف تشق الطريق كمارد ضخم , الدماء لا تتوقف من أثر الجرح النافذ الذي أحدث تهتك بالرئة اليسرى واصاب ما اصاب من القلب , محاولات وقف النزيف مستمرة , فخرطوم التنفس الصناعي موصول بالفم حتى البلعوم وذراعه الأيمن موصول بكيس الدم , وهي تبكي وتدعو الله أن ينقذ حياته رغم ما ألم بها ولكنها لا تبالي , ارتداءها لمعطف المسعفين يوحي بأنها أحد أفراد الإسعاف بالسيارة , لكن شعرها الأشعث وثيابها المهترئة وبكاءها الذي لا يتوقف يشير الي أن شيء ما قد حدث ...

انقض عليها ثلاثة أشخاص بعدما تعطلت سيارتها على الطريق الصحراوي, كان هو الوحيد المار على الطريق حين لمح استغاثتها وهم يحاولون التعدي عليها وسرقتها , أوقف سيارته على الفور وإتجه إليها , امتزجت خطواته المتجهة لانقاذها بالحوار الذي دار مع صديقه وكأنه نول نسيج..

لا يعلم لما استدعي هذا الحوار الآن , لا أحد يعلم هل أراد أن يمارس هوايته المعهودة أم أن شهامته هي التي دعته لهذا التصرف ... كل ذلك دار في عقله في ثوان , لكنهم لم يمهلوه حيث أوصده إثنان وطعنه الثالث , وفي إماءة بينهم توجهوا مسرعين إلى الغنيمة الأكبر , لاذوا بسيارته وتركوه بدون حركة إلا من دماء تشق طريقها وسط صرخاتها التي أصمتها صوت هاتفها .
ردت على متصلها الذي استطاع بصعوبة أن ينقي الأصوات الصادرة من حنجرتها ويحدد أنها إستغاثة ..! مر الوقت وهي جاثية بجواره تحاول وقف النزيف ولكن دون جدوى , أشار هاتفها بإتصال جديد كان سائق

سيارة الاسعاف الذي استطاع أن يحدد موقعها تحديدا وطمئنها بأنه على بعد عدة دقائق فقط

وصل المسعفون وما زال الخلط مستمرا بين نزيف الدماء .. بكاءها .. وأعينها المستغيثة ... اسرعوا بحمله داخل سيارتهم التي توارت في الظلام في لحظة تساوت بها المسافات وأصبح لا جدوي , سكن خرطوم التنفس الصناعي وكأنه سبابة صلاة , كما ثبتت شاشة قياس ضغط القلب , حاول أحد المسعفين انعاش عضلة القلب , ولكن دون جدوي , رفع الوصلات عنه بنظرات اليأس التي اصطدمت مع نظراتها لتحدث بكاء هستيري أسقطها أرضا , لم تستجب معها محاولات التهدئة إلى أن وصلت السيارة الي المستشفى , تم إخراج المرأة ووضعها احدي غرف الطوارئ حتي يتأكدوا من سلامتها , يدخل عليها أحد ضباط الشرطة لسماع أقوالها ويبلغها بالقبض على الجناة وسيتم مواجهتها بهم

أما هو فقد أودع ثلاجة حفظ الموتى حتى يتم استخراج التقرير الطبي لتحديد سبب الوفاة ...

لم ينته الامر عند هذا الحد ... نعم لقد مات , ولكن الأمر شديد التعقيد.. لقد مات وهو يدافع عنها , فالأمر كان سينتهي باغتصابها وقد يؤدي لمقتلها إن لم يرسله الله اليها ... فلماذا أرسله الله هو تحديدا ؟؟

عمله كمديرا للمشتريات التي تتعدي ملايين الجنيهات جعلت الكثيرين يلتفون حوله , ولكن جميعهم كانوا كالفئران التي تعجز عن تسلق جسم أملس ...!

لذا لم يحزن على وفاته إلا القليلون ...

الفتاه ... فهو أنقذ شرفها ... بل حياتها

عبدالحكم ... صديقه الذي مرت عليه اوقات عسرة منذ أن علم بخبر مقتله , ظل عقله في حالة غليان وكأنه منطاد يقدح نارا كي لا يسقط ... انتهي العزاء ... غادر عبد الحكم المكان وهو ينظر نظرة طولية صلبة تتخطى الأفق وكأنه يريد أن يصل بعينه إلى ما وراء الأشياء ... وصل إلى سيارته , ادارها , واتجهت السيارة في حزن شديد الي البيت ...

سَمِعَت هي جرس الباب ... فتحته في سرعة ولهفة ملحوظتان وكأنها كانت جالسة خلفه... نطقت في شغف...

- عبد الحكم .. الحمد لله أنك بخير ... لماذا لا ترد على الهاتف ..؟
- لم اسمعه ... اعذريني ... خرجت مني في حدة وتصلب
- أعلم ما بك يا حبيبي ... ولكنه عمره ... ولقد مات شهيدا .. أحسن الله خاتمتنا ... أعرف العلاقة التي تربطك به ولكنها الحياة .. أنت مؤمن يا زوجي العزيز
- وكأني ما سمعت شيء ... من فضلك أريد فنجان قهوة بالمكتب
- حاضر ...

ذهبت مسرعة إلى المطبخ ...

أسدلت رباطة العنق وكأني أزيح هم قد تمكن من رقبتي ... دخلت حجرة المكتب وجلست على المقعد المقابل لمقعده ... حيث زارني منذ ايام قليلة... تذكرت الحوار الذي دار بيننا ...

- إلى متي ستظل محيرا هكذا ..؟ معظم المحيطون يعلمون أنك رجل من طراز فريد , ولكن القليل فقط هم من يعلمون الحقيقة
- فعلا يا عبدالحكم , أنت محق فيما قلت , ولكن هي نقطة سوداء في ثوب ناصع

- ولكنها ملفتة , فنقيق ضفضع في البركة كافٍ بأن ينتشلك من سكونك, بصراحة علاقاتك النسائية ستقضي عليك

- ولكني لا أظلم أحدا , لا أجذب أحدا عنوة لطريقي , فأنا قطار من يستقله هو فقط من يلتفح بهواءه بل على العكس , أنت تعلم ان هناك من مددت له يدي بعد أن ادلهمت حياته

- لا تكن كالذئب الذي يحمي فريسته من قطيع الكلاب ...! فأنت تعلم مصير السمكة الوحيدة الهاربة من أسراب تريد افتراسها .. فهي تهرب الي اقرب مغارة مائية مظلمة , لتجدك تنتظرها لتصبح وجبتك المفضلة

- ولكني يا عبدالحكم لست سيئا لهذه الدرجة ... أنت من قلت لي أن هذا ما يعيبني ولو تخلصت من تلك الأفعال سأصبح إنسانا من طراز فريد

- ومازلت عند رأيي , فلا يوجد من هو مكتمل على الدوام , فالقمر لا يكتمل إلا بعد أطوار من النقصان , ولكن ما أقوم به معك هو تقديم النصيحة , محاولة استكمال الجزء المظلم من القمر

في تلك اللحظات دخلت علينا زوجتي بفنجاني القهوة ثم انصرفت ,

ظللت أحدق بفنجاني وكأني أريد رؤية ما تحت طبقته السطحية .. حين قلت له :

- أتعلم ... حياتنا تشبه كثيرا القهوة بداخل الفنجان فطبقتها السميكة تخفي ما في قاعه, ولكن بمجرد أن نرتشفه تبدو ترسيبات القاع , كذلك أنفسنا تخفي بداخلها تعريجاتنا من هوي النفس , التي تتناقض مع أفعالنا أمام العامة ...!

- ألمح إشارة إليّ في كلماتك
- وهل أنت فنجان قهوة ...!؟
- دائما أنت هكذا ... تهرب في الوقت المناسب
- أنا لا أهرب (قلتها وأنا أضحك) ولكن كل ما أريده لك يا صديقي هو الخير

هنا دخلت زوجتي بفنجان القهوة ووضعته أمامي ... ظللت أمعن النظر إليه حين تسللت دموعي لأسفل في بطئ , وبداخل حلقي سؤال لله يأبى أن يخرج ..!

المحتويات

٥ الشقة رقم ٤١
١٥ خدمة ٢٤ ساعة
٢١ عرض أزياء
٢٩ إحتمالات مبهمة
٣٥ ثورجي
٤١ شمعة لا تنطفئ
٤٧ المرأة التي لا يعرفها أحد
٥٣ أستاذ شوقي
٦١ رسالة الفرصة الأخيرة
٦٧ على أطراف المدينة
٨٥ فنجان قهوة

للتواصل .

Ahmed_sayd100@yahoo.com
Skype : ahmed_sayd100